مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الفتوى والبحوث الإسلامية

الإسراء

في هذا العدد :

- من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام .
- الحج وسلوك العابد .

العدد الخامس والسبعون ● ذو القعدة ● ذو الحجة 1428 هـ ● نوفمبر/ديسمبر ● كانون أول 2007 م

مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الفتوى والبحوث الإسلامية ـ القدس
العدد 75 ذو القعدة – ذو الحجة 1428 هـ تشرين الثاني – كانون الأول 2007 م

المشرف العام
الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير
الشيخ ابراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير
يوسف تيسير محمود

هيئة التحرير
د. إسماعيل نواهضة
أ. د. حسن السلوادي
د. حمزة ذيب
د. سعيد القيق
د. شفيق عياش

المستشارون
(حسب الحروف الهجائية)
د. أحمد أبو حلبية
الشيخ أحمد أبو زنيد
الشيخ احسان عاشور
الشيخ حسن جابر
د. حسين الدراويش
الأستاذ خليل الزرو
الشيخ خيري أمين
د. سليمان السطري
بروفسور صالح قعدان
الشيخ عبد الرحيم ناصر
د. عبد المنعم أبو قاهوق
الأستاذ فتحي رمضان الآغا
الأستاذ كمال بواطنه
د. مروان القدومي
أ.د. يونس عمرو

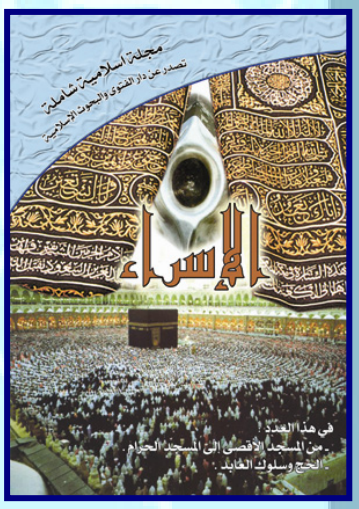

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

المراسلات : مجلة الإسراء ، دائرة الإعلام ، دار الفتوى والبحوث الإسلامية
ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 6262495 ـ 02 / 2348603 ـ 02
موقعنا على الإنترنت : www.darfatwa.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darfatwa.org

فهرس العدد

الموضـــــــــــــوع	الكـــــــــــاتب	صفحة
إفتتاحية العدد		
من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام	الشيخ محمد حسين	4
ملف العدد		
الحج وسلوك العابد	الشيخ ابراهيم خليل عوض الله	8
قبسات من فضائل الحج	أ. هالة الريماوي	18
الحج المبرور	د. خالد الغزاوي	22
الحج مؤتمر اسلامي مهم يتجدد كل عام	د. شفيق موسى عياش	26
التأمل في أركان الحج	الشيخ حسن أحمد جابر	29
رحلة العمر إلى الحج	أ. كايد عودة براهمة	33
الملف الفقهي		
كفالة اليتيم في الشريعة الإسلامية	الشيخ عمار توفيق بدوي	40
المرأة وصلاة الجماعة	الشيخ أحمد ذياب	50
زاوية الفتاوى	الشيخ محمد حسين	59

فهرس العدد

الموضـــــــــــــوع	الكـــــــــــاتب	صفحة
شؤون إسلامية		
حب الوطن ومسؤولية المواطنة في الإسلام	أ.د. حسن السلوادي	63
مكانة القدس في الإسلام	الشيخ فتحي الآغا	73
علوم قرآن		
الوحدة الموضوعية في سورة الكهف	أ. طارق مصطفى حميدة	80
عقيدة		
أن تعبد ربك كأنك تراه فذلك الإحسان	أ. كمال بواطنة	91
خطبة العدد		
ظاهرة التكفير وخطرها على المجتمع	الشيخ محمد حسين خطيب المسجد الأقصى	95
نشاطات واخبار		
من نشاطات دور الفتوى	أ. عطا الله فلاحين	100
من اخبار مكتب المفتي العام	أ. مصطفى أعرج	104
مسابقة العدد	أسرة التحرير	110
باب المغفرة	أ. يوسف تيسير محمود	112

من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام

افتتاحية العدد

بقلم: الشيخ محمد حسين / المشرف العام

الحج ركن من أركان الإسلام التي بينها الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف فقال " بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ " (متفق عليه)، وهو فرض من فروضه لقوله تعالى : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران:97) فرضه الله على المسلم في العمر مرة واحدة ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : " خَطَبَنَا يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ قَالَ:فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ:فِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا أَوْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ "(رواه احمد). وحذر الله المسلم من تركه وهو قادر عليه بقوله : { وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران:97) ، وبشر من حج مخلصا لله بغفران الذنوب ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ

يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " (رواه البخاري) .

والحج من أفضل الأعمال التي يؤديها المسلم فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:"سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ :ـ إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ :ـ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :ـ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ " (رواه البخاري) والحج المبرور : هو الذي لا يخالطه إثم ، قال تعالى : {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ } (البقرة:197) .

والأشهر المعلومة هي شوال وذو القعدة وذو الحجة ، ومن العلماء من قال العشر الأوائل من ذي الحجة ، وهي ميقات الزمان لأداء فريضة الحج ، بمعنى أن أعمال الحج من الإحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ، والمبيت في منى والوقوف بعرفة ، والإفاضة إلى المزدلفة ، ورمي الجمار لا تكون إلا في هذه الأشهر و أيامها ولياليها ، التي تعينت لأداء أعمال الحج ، فلا تصح أعمال الحج خارج هذه المواقيت الزمانية . كما لا يصح للحاج أن يجاوز المواقيت المكانية إلا محرما ، وإذا تجاوزها من غير إحرام عاد إليها،وإلا وجب عليه دم في ذلك ، وتلك المواقيت مبينة في كتب الفقه، وهي تختلف باختلاف المكان الذي يقدم منه الحاج .

وفي الأراضي الفلسطينية المباركة تتخذ الإجراءات الإدارية كافة لتسهيل أداء فريضة الحج على أهل بيت المقدس وأكناف بيت المقدس الذين عزموا على شد الرحال من المسجد الأقصى وما حوله إلى المسجد الحرام ، حيث المناسك والمشاعر لأداء هذه الفريضة العظيمة ، والعبادة الجليلة بكل يسر إن شاء الله ، قاصدين المسجد الحرام الذي جعله الله حرما آمناً ومكاناً لطواف الحجيج وسعيهم استجابة لنداء الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم . {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ*} (سورة الحج : 26- 28).

نعم انه توجه ميمون لحجاج أهل هذه الديار المباركة التي ربط الله مسجدها الأقصى المبارك برباط عقدي وتعبدي بالمسجد الحرام ، من خلال معجزة الإسراء والمعراج بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ، فقال تعالى : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } (سورة الإسراء :1) . **فحجاج فلسطين في سفرهم الميمون** هذا يؤكدون على هذه المعاني العظيمة ، وذلك بالتزامن مع أدائهم لفريضة الحج التي فرضها الله على أمتنا الإسلامية ، فهم يتوجهون من القبلة الأولى وأرضها ، إلى القبلة الثانية وأرضها ، ومن المسجد الثاني في الأرض إلى المسجد الحرام الذي وضعه الله في الأرض أولا ، مصداقا لقوله تعالى : {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاًوَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ *فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً } (سورة آل عمران: 96-97).

حقا أنها رحلة ميمونة تلك التي تنطلق من أرض فلسطين المباركة نهاية رحلة الإسراء ومنطلق المعراج إلى السموات العلى ، إلى أرض الحجاز الطاهرة . فهي رحلة بدايتها فلسطين بوابة الأرض إلى السماء ، ونافذة السماء إلى الأرض، إلى أرض الطهر والنور ، حيث اتصال وحي السماء بالأرض والصدع بأمر الله ودعوته في تلك الرحاب الطاهرة والبقاع المقدسة .

إن توجه الحجيج من هذه الديار المباركة إلى ديار الحجاز الطاهرة ليؤكد كل هذه المعاني الإيمانية والعقدية والتعبدية ، كما يؤكد على أن هذه الديار المباركة ديار المسجد الأقصى وديار المسجد الحرام ، هي صرة ديار الإسلام والمسلمين ، وهي أمانة في أعناق الأجيال

على مدار الزمان لتبقى المناسك مشرعة أمام قاصديها والمساجد مفتوحة أمام زائريها ، وإلا كيف يمكن أن نتصور حجا وعمرة وشدا للرحال إلى هذه المساجد دون المحافظة عليها في حوزة الإسلام والمسلمين ؟ ورد غوائل الزمان عنها . وبحمايتها من العابثين والمحتلين .

وبمناسبة سفر الحجيج لأداء مناسكهم ومن قلب القدس وكوكبها الدري المسجد الأقصى المبارك نتوجه إلى الله العلي القدير أن يحفظ حجاج بيته الحرام من كل سوء ، وأن يوفقهم للفوز بالحج المبرور والسعي المشكور والتجارة التي لن تبور ، وأن يعيدهم إلى أهلهم وديارهم سالمين غانمين ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الكعبة المشـــرفة

(قبلة المسلمين)

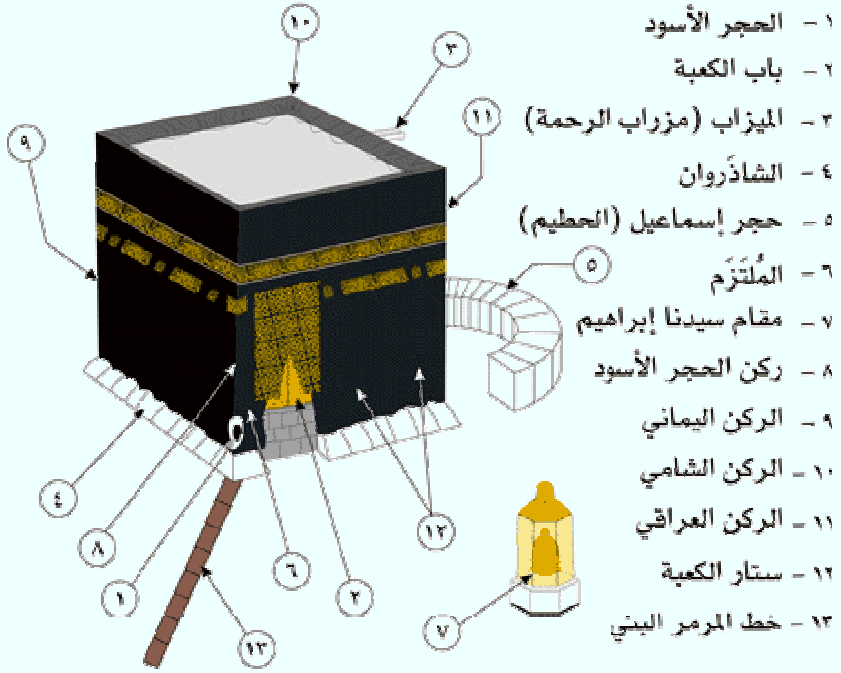

١ – الحجر الأسود
٢ – باب الكعبة
٣ – الميزاب (مزراب الرحمة)
٤ – الشاذَروان
٥ – حجر إسماعيل (الحطيم)
٦ – المُلتَزَم
٧ – مقام سيدنا إبراهيم
٨ – ركن الحجر الأسود
٩ – الركن اليماني
١٠ – الركن الشامي
١١ – الركن العراقي
١٢ – ستار الكعبة
١٣ – خط المرمر البيني

الحج وسلوك العابد

الشيخ / إبراهيم خليل عوض الله
رئيس التحرير

ما من عبادة فرضها الله على خلقه إلا كان لسلوك العابد ارتباط وثيق بها، وتتجلى هذه القاعدة بوضوح في فريضة الحج، فالنصوص الشرعية التي تناولت موضوع الحج أظهرت تركيزاً واضحاً على كثير من القضايا والأمور السلوكية، أنظر في قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ[1] وَلاَ فُسُوقَ[2] وَلاَ جِدَالَ[3] فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) (البقرة: 197).

فالآية الكريمة تذكر زمن الحج، وفرضه، ثم تنهى الحاج عن اقتراف الرفث والفسق والجدال، وتلك بلا ريب قضايا سلوكية بامتياز.

ورب سائل يسأل عن وجه الصلة بين هذه النواهي السلوكية وعبادة الحج، وأولى من يجيب هذا المتسائل هو من سبق له أن سافر إلى الحج وأدى مناسكه، لأنه خاض تجربة عملية، لمس خلالها ضرورة التربية على تجنب مثل هذه السلوكيات، فالظرف مهيأ للتماس والوقوع في الزلل، رغم الجو الإيماني الذي يفترض أن يخيم على رحلة الحج، فالحج سفر،

والسفر شق من العذاب، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: "**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نهمته**[4] **فليعجل إلى أهله**". (صحيح البخاري، ج2، ص639)

وما دام الحج سفراً فهو محك للصبر، وامتحان لتحمل المشاق والتعب والرفقة، وهو رحلة جماعية، يشارك فيها الذكور والإناث، المحارم والأجانب، وفيه تنوع الأمزجة، واختلاف الطباع والعادات والرغبات، فكان جميلاً أن يوصى الحاج باجتناب الرفث والفسق والجدال، حتى يوفق بأداء حجه على الوجه الذي يرام.

وفي مقابل نهي الآية سالفة الذكر عن سلوك الرفث والفسق والجدال ، فإنها أوصت بالتزود بخير الزاد، ألا وهو التقوى ، مما يعني التحلي بمكارم السلوك، وتجنب المنحرف منه، فالتقوى مشتقة من الوقاية، وهي منهج سلوكي يقوم على قصد الخير وتجنب الشر في النية والشعور والقيم والسلوك كله، سئل علي بن أبي طالب ﷺ عن التقوى فقال: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".

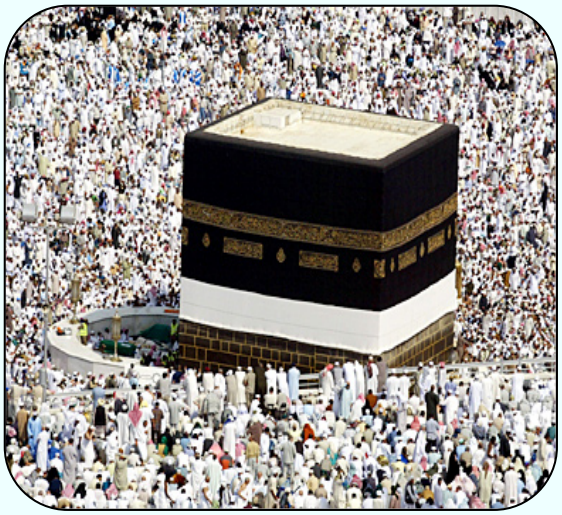

وسأل عمر بن الخطاب ﷺ أبي ابن كعب عن التقوى، فقال له : "يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقا ذا شوك؟ قال: بلى، قال: ماذا صنعت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى".

وهكذا تظهر العناية القرآنية بسلوك الحاج في جانبيه المتمثلين بالتخلي، والتحلي، مما يؤكد الأهمية التي يوليها القرآن الكريم لسلوك العابدين.

وفي مواضع قرآنية أخرَ ربط الله تعالى قضايا سلوكية بشعائر الحج، فأشار إلى عدد من تلك القضايا في ثنايا حديثه عن بعض شعائر الحج، فقال تعالى : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً[5] وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ[6] يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ[7] * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ[8] الْفَقِيرَ* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ[9] وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ* ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ* حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ* ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ(10) فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ* لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ* وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ(11) * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)

(الحج: 27- 35)

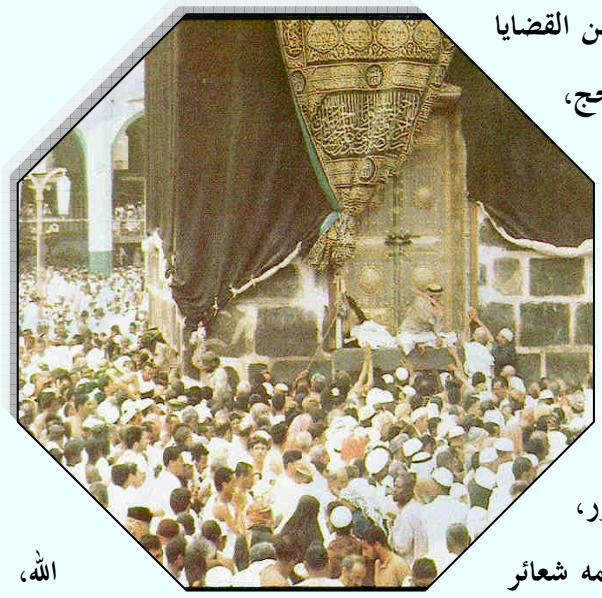

أشارت هذه الآيات الكريمة إلى جملة من القضايا السلوكية، فبعد وصفها وسيلة السفر للحج، ذكرت المنافع التي يشهدها الحاج فيه ، وذكره اسم الله وشكره، وأكله وإنفاقه على البائس الفقير، وقضاءه التفث، ووفاءه بالنذور، وطوافه بالبيت، وتعظيمه للحرمات، وتمتعه بالأنعام، واجتنابه الرجس من الأوثان وقول الزور، وتوحيده لله، وحذره من الشرك، وتعظيمه شعائر الله،

والاستمتاع بمنافع الأنعام، وشكر الله عليها، ووجل قلبه، وصبره، وإقامته الصلاة، وإنفاقه من رزقه سبحانه.

فهذه رزمة سلوكية شملتها بالذكر الآيات التي وردت في سياق الحديث عن الحج، وفي ذلك مؤشر آخر على الصلة الوثيقة بين عبادة الحج وسلوك العابد.

ولما ذكر الهدي قال: (وَالْبُدْنَ(12) جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ(13) فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا(14) فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ(15) وَالْمُعْتَرَّ(16) كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى(17) مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج: 36-37) .

فليس الهدي مقصوداً لذاته، وإنما هو لذكر اسم الله، والإنفاق في سبيله، أما الله فهو غني عن العالمين، ولذلك قال: لن يصل إلى الله لحومها ولا دماؤها، وإنما المقصود تقواهم التي تمثل عنوان سلوكهم .

ومن المبادئ السلوكية التي أبرزها القرآن الكريم في حديثه عن بعض شعائر الحج، **مبدأ التيسير**، فقال تعالى: (وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (البقرة:203) فخير الله الحاج بين التعجل والتأخر أيام منى، مراعاة لظروفه وأحواله، وأخذ الرسول ﷺ بهذا المبدأ بقوله وفعله، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، "**أنه شهد النبي ﷺ يخطب يوم النحر فقام إليه رجل ، فقال: كنت أحسب أن كذا قبل كذا ، ثم قام آخر فقال: كنت أحسب أن كذا قبل كذا، حلقت قبل أن أنحر نحرت قبل أن أرمي، وأشباه ذلك . فقال النبي ـ ﷺ ـ: افعل ولا حرج لهن كلهن، فما سئل يومئذ عن شيء إلا قال: افعل ولا حرج** ". (البخاري1622).

والحج بشعائره ومناسكه يعزز بواعث السلوك الطيب، فهو تلبية وذكر وصلاة وأدعية، فبالذكر تطمئن القلوب، وبالصلاة تكف النفوس عن الفحشاء، وتشجب المنكر، وهو تلبية ترددها الحناجر الضارعة، معلنة الاستجابة لنداء الرحمن عملاً وقولاً وتوجهاً.

وحين تحط أقدام الحجيج في تلك البقعة المطهرة ، تذهب أذهانهم صوب تاريخ المناسك والمواضع المقدسة من حولها، فيذكرون إيمان إبراهيم وزوجه وابنه إسماعيل، ويتلمسون من ذلك دروساً دون تدريس، حين يذكرون موقف زوج إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام حين تركهما إبراهيم عليه السلام بوادٍ غير ذي زرع استجابة لأمر الله تعالى فسألته عن سبب تركه لهما فلم يلتفت إليها، فقالت : "**آللّه أمرك بهذا ؟؟ !! فأجابها بنعم. فقالت: إذا لن يضيعنا** "؟

وحين يذكرون سعي تلك المؤمنة طلبا للماء والزاد، يتعزز لديهم الاعتقاد بأن الرزق بحاجة إلى سعي، فهي لم تقعد مكانها منتظرة الموت أو الرزق، فرغم يقينها بأن وضعها في هذا الحال كان مقدراً من عند الله إلا أنها سعت، حتى أنعم الله عليها بزمزم، فشربت وابنها، وشرب الخلق من ورائهما، وما زالوا يشربون.

وحين يذكرون استجابة إبراهيم للأمر الرباني بالتضحية بفلذة كبده، تتعزز لديهم كذلك روح الفداء، وقد سجل الله هذا الموقف لإبراهيم عليه السلام، فقال تعالى : (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ...) (الصافات:102)

ويحدث لهم مثل ذلك التعزيز وهم يذكرون الاستعداد المطلق من إسماعيل عليه السلام لأن يكون ذبيحاً (...قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات:102)

وهكذا يجد الحاج في المناسك التي يؤديها، وكل المواضع التي يأتيها ، في البيت الحرام وأكنافه ، ما يقود إلى تقويم السلوك المعوج، وتعزيز الطيب منه، مما يعزز دعوة حجاج

بيت الله الحرام وغيرهم من المسلمين ليضعوا هذا البعد في اعتبارهم ، حتى يكونوا ممن ربح بيع الحج، لا من الغافلين الذين يعودون بمثل ما ذهبوا من سوء السلوك.

والحج يذكرنا بالاهتمام بالمقدسات الإسلامية، التي رفع شأنها الله، فهو يذكر الحجاج بالمسجد الحرام الذي هو وجهتهم، وقبلة المسلمين، ونزل فيه قوله تعالى: (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ(18) ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المائدة:97)

ويقول سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ (19) وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ(20) نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الحج:25) .

وكان الناس قبل الإسلام يربطون بعض سلوكهم بقدسية البيت العتيق، قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: "**كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه، فلا يعرض له**". (تفسير ابن كثير، ج1، ص169)

وينساق هذا الاهتمام على المساجد التي ارتبطت بالمسجد الحرام ارتباط عقيدة ودين، كالمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، فيجمع هذه المساجد الثلاثة قاسم مشترك في أنه لا تشد الرحال إلا إليها، وفي مضاعفة أجر الصلاة والعبادة فيها، إضافة إلى ارتباط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى، بأن كان الأول منطلق الإسراء بالرسول ﷺ، والآخر غايته. وكان الأول قبلة المسلمين الأولى، وصار الثاني قبلتهم الثانية والأخيرة. ويرتبط المسجد النبوي بالمسجد الحرام تاريخياً ودعوياً.

وإذا رسخت هذه الروابط في قلب الحاج ووعيه وإدراكه، فإنه يجد لزاماً عليه أن يبذل من الرعاية والاهتمام لتلك المقدسات ما بذله للمسجد الحرام الذي قصده حاجاً، معظماً ملبياً.

ومن أعظم الأمور السلوكية التي يترك الحج بصماته عليها، موضوع الوحدة بين المسلمين، حيث تتضافر شعائر الحج وأعماله في الإعلان عن وحدة المسلمين، فالإحرام في

مظهره، والشعائر في نوعها وشكلها يؤديها جميع المسلمين، صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، رئيسهم ومرؤوسيهم، ذكرهم وأنثاهم. فكل حاج يحرم كما يحرم إخوانه الحجيج، ويطوف كما يطوفون، ويلبي كما يلبون، ويسعى كما يسعون، ويرمي الجمار كما يرمون، ويشرب زمزم كما يشربون، ويصلي بالحرم كما يصلون، وينحر الهدي كما ينحرون، ويودع البيت الحرام كما يودعون.

والحج مدرسة تعلم المسلمين الوحدة في المشاعر والشعائر، وتعزز في قلوبهم بواعثها، وتزرع في واقعهم سبلها وصورها.

وحتى يفلح الحج في أداء رسالته السلوكية، لا بد للتربية من أن تقوم بدورها المنوط بها نحو الناس قبل قصدهم الحج، وبعد الشروع فيه، وعند الانتهاء من أعماله، وإلا تبقى الآمال والطموحات في مهب الريح. من هنا حرص الرسول ﷺ على إبراز بعض القيم السلوكية في موقفه التربوي الذي عبر عنه في خطبة حجة الوداع، فنبههم إلى خطورة السلوك العدواني بأسلوب مشوق مثير، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: "خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: أتدرون أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت، حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: أي شهر هذا؟ قلنا؟ الله ورسوله أعلم. فسكت، حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت، حتى ظننا أنه سيسميه بغير

اسمه. قال: اليست بالبلدة الحرام؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض". (صحيح البخاري، ج2، ص620) .

ومن شواهد السنة النبوية المطهرة على الاهتمام بقضية ربط الحج بسلوك الحاج، أن الرسول ﷺ رهن جزاء الحاج بالبر، فعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:"**من حج هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**". (صحيح البخاري ج:2 ص:645) .

وعنه ﷺ ، أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: "**إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور**". (صحيح البخاري ج:1 ص:18) .

وللسلوك الطيب أيام الحج منزلة رفيعة عند الله تعالى ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء".(صحيح البخاري ج:1 ص:329)

فنيل الحج مرتبة مميزة في سلم أفضل الأعمال، مشروط بكونه مبروراً، والبر وصف معبر عن لب القضية السلوكية، بدليل تفسيره بحسن الخلق، عن النواس بن سمعان الأنصاري قال:" **سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**". (صحيح مسلم ج4، ص1980)

واشتراط البر لنيل جائزة الحج الكبرى وهي الجنة، يعني اشتراط التحلي بالسلوك الطيب، والبعد عن الإثم والفواحش، وهي عناوين للسلوك المنحرف.

ورهن فوز الحاج بالجنة بكون حجه مبروراً، يعني تقديم جائزة تعزيزية للسلوك الطيب، لأن الجنة مطمح الأفئدة، ومبلغ الرجاء، وغاية المنى، كيف لا؟! وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: قال الله: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم : **(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)** (صحيح البخاري)

وكان رسول الله ﷺ يعلم المسلمين السلوك في الحج، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: "خرجنا مع رسول الله ﷺ حجاجا، وأن زمالة (20) رسول الله ﷺ وزمالة أبي بكر واحدة، فنزلنا العَرج (22)، وكانت زمالتنا مع غلام أبي بكر. قالت: فجلس رسول الله ﷺ وجلست عائشة إلى جنبه، وجلس أبو بكر إلى جنب رسول الله ﷺ من الشق الآخر، وجلست إلى جنب أبي، ننتظر غلامه وزمالته، حتى متى يأتينا، فاطلع الغلام يمشي ما معه بعيره، قالت: فقال له أبو بكر: أين بعيرك؟ قال: أضلني الليلة. قالت: فقام أبو بكر يضربه ،ويقول بعير واحد أضلك، وأنت رجل، فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يتبسم، ويقول: انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع". (قال النيسابوري: هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين ج:1 ص:623)

ففي قوله ﷺ: "**انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع**" نقد مبطن للسلوك غير المرغوب، وتوجيه لتعديله، وهذا الاهتمام النبوي بتهذيب السلوك في العبادة له شواهده الكثيرة، التي منها، ما رواه البخاري في صحيحه تحت باب من نذر المشي إلى الكعبة، عن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ:"رأى شيخا يهادى (23) بين ابنيه ، قال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي. قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني. وأمره أن يركب". (صحيح البخاري ج:2 ص:659)

والسلوك الخاطئ مرفوض في كل مكان وزمان، إلا أنه يكون أشد مقتاً ورفضاً وسلبية إن وقع خلال أداء المناسك، ولو تنبه المسلمون لذلك ما أصابهم الضرر الذي يترتب على انحراف السلوك، ومن ذلك الضرر ما يقع عاجلاً قبل الآجل من الزمان، فمن لم يسمع

بالآثار الرهيبة التي ترتبت على سلوك التدافع خلال الذهاب لرمي الجمرات أو الإياب منها؟ ولو تحلوا بالصبر والانضباط وحسن التدبير لنجوا من تلك الكوارث وأمثالها.

وبعد ، فهذه محاولة متواضعة لإبراز الربط بين السلوك وعبادة الحج، سواء خلال عملية التربية والتعليم الخاصة بأداء المناسك، أم عند الإشارة للآثار السلوكية التي تترتب على أداء المناسك والشعائر، وزيارة مواضع الشعائر، أم بالدعوة للقراءة المتدبرة الواعية للنصوص الشرعية التي تناولت ذكر الحج وقضاياه،عسى الله أن ينفع بها من يقرأها، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا دائماً وأبداً.

الهوامش:

1. الرفث: هو الجماع ودواعيه، فيحرم على الحاج المعاشرة الزوجية ومقدماتُها القولية والفعلية كالتقبيل والكلام المتعلق بالجماع والشهوة ونحو ذلك . ويطلق الرفث أيضاً على الكلام الفاحش البذيء . وقد جاء الرفث بمعنى الجماع في قوله تعالى: "أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيامِ الرَّفثُ إلى نسائكم" .
2. الفسوق: هي معاصي الله ﷻ، سواء أكانت متعلقة بالإحرام أم عامة لكل ما نهى الله عنه.
3. الجدال: المخاصمة والمنازعة.
4. يعني حاجته.
5. مشاة، جمع راجل.
6. بعير ضعيف، وهو يطلق على الذكر والأنثى.
7. طريق بعيد.
8. شديد الفقر.
9. إزالة الوسخ بقص الأظفار والشارب وحلق العانة.
10. تعظيم ما يهدى للحرم بالتسمين والتحسين، وسمي الهدي شعائر لإشعارها بما يعرفها بأنها هدي للحرم.
11. المطيعين المتواضعين.
12. جمع بدنة، وهي الإبل.
13. قائمة على ثلاث، معقولة اليد اليسرى.
14. سقطت إلى الأرض بعد النحر ووقت أكلها.
15. الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يعترض.
16. السائل أو المعترض.
17. أي يرفع إليه سبحانه العمل الصالح.
18. العاكف هو المقيم.
19. الطارئ.
20. بسبب ظلم، بأن ارتكب فيه محرماً.
21. مركوب المسافر، وما معه من لوازم السفر.
22. العرج بفتح العين وكسر الراء، وهي قرية تبعد ثلاث مراحل عن المدينة المنورة.
23. يمشي معتمداً على غيره.

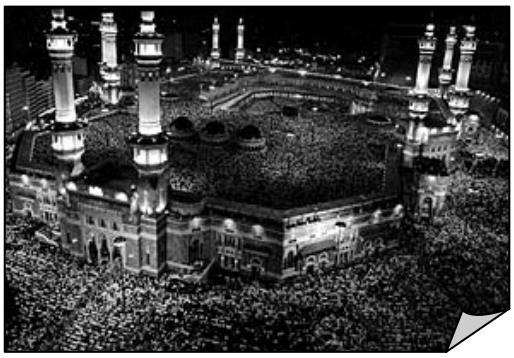

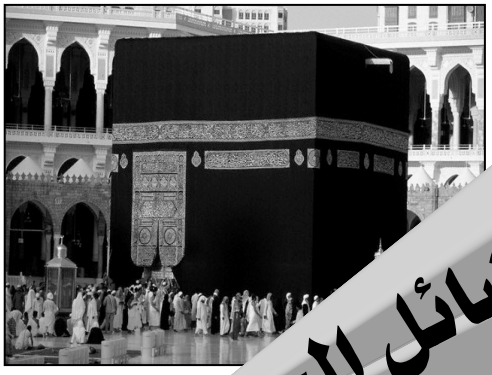

قبسات من فضائل الحج

إعداد : هالة الريماوي
دار الفتوى والبحوث الإسلامية

الحج ركن من أركان الاسلام تهفو إليه القلوب المسلمة وتلبي له الأفئدة المؤمنة الموحدة على اختلاف أجناسها واختلاف أنسابها قائلة: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، لبيك، مستجيبة لنداء أبينا إبراهيم عليه السلام (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (سورة الحج 26-27)، **مؤمنة بما بعث به الرسول الأكرم** ﷺ **القائل:** (**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**) (صحيح الجامع الصغير).

وللحج معان وفضائل بمعرفتها نفارق في الأداء ما اعتدنا عليه وألفناه من أداء أفعال دون النظر في مدلولها ومقصودها، ونتيه فرحاً بما حبانا الله من فضله وخصّنا دون خلقه به. فنكون من الملبين لنداء ربنا والمتّبعين لأفعال نبيّه ﷺ.

فالحج عبادة عظيمة الأجر والثواب يمحو الله تعالى بها الخطيئات ، ويهدم ما قبلها من السيئات ويرفع بها الدرجات . وما أجلّها من طاعة وفريضة ، ينبغي أن يحرص المسلم على أدائها بالكيفية التي شرعها الله تعالى (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة : 197) ، فمن أداها على أكمل وجه نال رضى الله ﷻ وبشارته ﷺ القائل : (**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**) رواه البخاري ، و(**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**) رواه البخاري .

والحج يهدم ما كان قبله : عن عمرو بن العاص ﷺ قال : « **لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت رسول الله ﷺ فقلت : ابسط يدك فلأبايعك ، فبسط ، فقبضت يدي . فقال : مالك يا عمرو؟ قلت: أشترط. قال: تشترط ماذا ؟ قلت: أن يغفر لي. قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟** » (رواه مسلم).

وهو طهارة من الذنوب : عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** » (صحيح البخاري) . قال ابن حجر: وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات.

كما أنه من أفضل أعمال البر بل أفضل من الجهاد : عن أبي هريرة قال: سئل النبي ﷺ: « **أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور** » (متفق عليه).

وهو جهاد المرأة : عن عائشة رضي الله عنها قالت : « **قلت يا رسول الله ! ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال : لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور ، قالت عائشة : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ**» . (متفق عليه).

الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب : قال رسول الله ﷺ: " **تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**" (أخرجه أحمد والترمذي) .

فضل النفقة في الحج: قال ﷺ : "**النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف**" (أخرجه أحمد والبيهقي).

أخي الحاج : إن كنت لا تعلم أن دعوتك مستجابة : فإنظر قول النبي ﷺ : (**الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله: دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم**) (أخرجه ابن ماجة وابن حبان).

وأنت كذلك في ذمّة الله وحفظه : عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:"**ثلاثة في ضمان الله ﷻ: رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله ، ورجل خرج غازيا في سبيل الله، ورجل خرج حاجا**" (صحيح الالباني).

الحج المبرور

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** " متفق عليه ، **والحج المبرور** : هو الذي لا يخالطه إثم. وقيل: المتقبل. وقيل الذي لا رياء فيه ولا سمعة، ولا رفث ولا فسوق. وقيل: علامة بر الحج أن تزداد بعده خيرا، ولا تعاود المعاصي بعد الرجوع. وهو قصد الكريم وإرادة العظيم وصفاء النية وسلامة الهدف ووضوح الرؤية وإخلاص العمل له جلّ وعلا.و النفقة الحلال والبعد عن الجدال وبذل الحقوق وترك الفسوق والترفع عن العبث وهجر الرفث ولزوم الأدب وحُسن الخلق والتزام النظام وتجنّب الغوغاء.

أخي المسلم : الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة ، فيجب على المسلم المستطيع المبادرة لأدائه حتى لا يأثم ، قال رسول الله ﷺ : "**تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له** "(رواه أحمد) .

فإن مستطيعاً بادر وسارع إلى أداء هذه الفريضة العظيمة فإن الأمور ميسرة ولله الحمد ، فلا يقعدنك الشيطان ولا يأخذنك التسويف . فلتهيء نفسك ولتقر عينك واستعد للقاء الله ﷻ واستثمر أوقاتك فيما يعود عليك بالنفع في الآخرة فإنها ستفرحك يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وتقبل الله طاعاتنا وتجاوز عن تقصيرنا وجعلنا ووالدينا من المغفور لهم والملبين هذا العام والأعوام القادمة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصادر والمراجع :

1- القرآن الكريم.
2- www.doar.net
3- www.islamonline.net
4- www.saaid.net
5- www.qaradawi.net

الحج المبرور

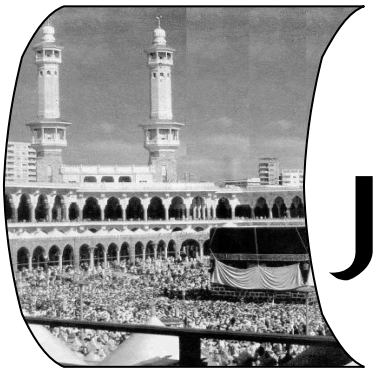

بقلم : د. خالد الغزاوي / إمام ومدرس بالصخرة المشرفة / عضو مجلس الفتوى الأعلى - فلسطين

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له : يا رسول الله ما بر الحج ؟ فقال : طيب الكلام وإطعام الطعام**) (1).

أخي الحاج :

إن الحج ركن من أركان الدين، وهو إلى جانب أركان الدين الأخرى يكمل بناء الإسلام في شخصية المسلمين .. إنه منسك عظيم يؤدي دوراً بارزاً في حياة الأمة المسلمة وحياة الأفراد على السواء، ينقل الأمة بمجموعها إلى طور بارز تكون فيه الجماعة المؤمنة قد اعتصمت بحبل الله المتين ، بعد أن دخلت في عبادة الحج ومناسكه ومشاعره، فأعظم به من ركنٍ يُسهم في إصلاح شأن الأمة الإسلامية وتوحيدها، بعد ما أصابها من التفرق والضعف والهوان جراء ابتعادها عن دين الله ومنهجه العظيم، ولا نبالغ في القول بأن موسم الحج في أحد الأعوام سيشهد ميلاداً للنصر والتغيير في دنيا المسلمين المعاصرة ، ولا غرابة في ذلك فالبيت الحرام الذي يؤمه الحجاج بالملايين كل عام.. هو لبيت نفسه الذي يتوجه إليه ألف وخمسمائة مليون مسلم في هذا العام من شتى أقطار الأرض، يتوجهون إليه في صلاتهم بقلوبهم وتحن إليه أشواقهم وتتجدد في جنباته روحانية المؤمنين.. وإن من الصور المألوفة التي يلمسها كل من يقصد البيت الحرام حاجاً أو معتمراً شدة

الألفة والمودة بين هؤلاء المؤمنين رغم اختلاف بلدانهم ولغاتهم وبيئاتهم، فسبحان الله الذي : (أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (2).

وأنت أخي الحاج أو المعتمر تجد في الحج تذكيرا لك بسفرك إلى الآخرة إلى الله ﷻ مستجيباً لقوله تعالى : (وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ)(3) ملبياً لنداء إبراهيم عليه السلام في الأزل الذي أمره سبحانه بقوله تعالى : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (4) فتذكر هذا الوقت وأنت محرم وأنت تصدح بالتلبية قائلاً: " **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**".

فما أعظم هذا الموقف الذي يصل بين العبد وربه ، هذا الإنسان المخلوق الضعيف الذي ليس إلا فرداً بين آلاف ملايين البشر، يعيشون على هذه الأرض التي قيل عن حجمها في مقابل هذا الملك العظيم ، والأجرام السماوية الهائلة ، أنها تكاد لا تساوي ذرة هباءٍ ، أو حبة رمل ، بالنسبة إلى حجم هذا الكون العظيم.. وحينما يقصد المؤمن طاعة من الطاعات ليعملها ، أو يسافر لحج أو عمرة ، أو يذكر ربه ، فإن هذا العبد الفاني الضعيف يصل نفسه بربه ، فيغدو قوياً بالله ويصبح أهم شيءٍ في هذه المخلوقات، فقد ميزه الله تعالى بالشرف بين كل المخلوقات ، إذ جعل لحياته رسالة وهدفاً ، ألا وهو العبودية لله رب العالمين ، قال جل من قائل : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (5).

تذكر أخي الحاج أن رسول الله ﷺ يخبرك في الحديث الذي يرويه أبو هريرة بقوله ﷺ: (**الحجاج والعماروفد الله ، إن سألوا أعطوا ، وإن دعوا أجيبوا ، وإن أنفقوا أخلف عليهم**) (6)

تذكر وأنت تقوم بمناسك الحج أن يكون حجك مبروراً لتنال الرضى والرضوان من الديان، والحج المبرور هو الذي يجتنب صاحبه اللغو والرفث والفسوق والجدال.. فهذه أمور منهي عنها

في جميع الأحوال والأوقات ، ولكنها إذا خالطت أعمال الحجاج وأخلاقهم أفسدت حجهم ، فلا تشغل وقتك بمخاصمة الرفقاء ، أو الكلام بما لا ينفع ، وغض بصرك وقلبك عن المحرمات، واحذر أن تضيع وقتك في الأسواق.. بل اشغل وقتك بكثرة الذكر والدعاء ، والطواف بالبيت العتيق ، والصلاة بحضرة البيت ، فذلك أنفع لك ، وأجزل لعطاء الله ﷻ.

وتذكر قوله ﷺ : (**إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة**) ففي ذلك اليوم يتجلى الله على عباده بالرحمة والمغفرة ، وإجابة الدعاء ، حيث ورد أن أفضل الدعاء يوم عرفة أن يقول الحاج (**لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير**) (7) ثم تذكر كذلك أن باقي المناسك والمشاعر التي تلتزم بها في حجك أو عمرتك تحوي الكثير الكثير من الحكم والفوائد التي لا يعلم البشر عنها إلا الشيء القليل .. فتعرض لرحمة الله في هذه المواقف التي وقفها من قبلك أنبياء الله وصحابته وأولياؤه.. فأنت تطوف حول البيت الحرام الذي تطوف به الملائكة في السماء فهو البيت المعمور، وهو البيت الذي تهبط عليه الرحمات من الخالق جل وعلا يقول ﷺ: (**ينزل اللّه ﷻ على هذا البيت في كل يوم وليلة مائة وعشرون رحمة ، ستون منها للطائفين، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين**)(8)

إن أحوج ما تحتاج إليه - أخي الحاج - وأنت في هذه العبادة العظيمة هو أن تتحلى بالأخلاق الفاضلة ، ومن أعظمها الصبر والتسامح ولين الكلام، وهذه الأخلاق الصالحة أنت في حاجةٍ إليها بعد أن ترجع إلى أهلك وبلدك، فأفضل ما يثاب عليه المرء بعد توحيد الله تعالى وعبادته هو الخلق الحسن.. ومن كان يؤدي هذه العبادة وهو في إقبال على الله وخشوعٍ شعثاً غبراً فإنه يكون من الذين يباهي الله بهم الملائكة يقول : (انظروا عبادي شعثا غبرا ، جاءوا من كل فج عميق ، يرجون مغفرتي ، قد غفرت لهم جميعا، فينادي منادٍ يا آل عرفة استأنفوا العمل فقد غفر لكم)(9).

أخي الحاج الفلسطيني :

أنت في هذه الرحلة المباركة مهاجر إلى الله ـ كهجرة الأنبياء من قبل ـ فأخلص في حجك واهجر المعاصي والسيئات والرياء وسوء الأخلاق وتب إلى الله تعالى منها التوبة النصوح ... أنت بين المشاعر المقدسة تؤدي مناسك الحج في أرض الحرمين الشريفين، كن خير سفيرٍ لبلدك ولقومك ولأهلك .. أعط إخوتك المؤمنين من الحجاج هناك في ذلك المؤتمر الإلهي السنوي.. إنك ابن فلسطين المؤمن الصادق الصامد الصابر المرابط الذي يحمل بين جنبيه روحاً عظيمةً وأخلاقاً نبوية ، وقلباً لا يعرف اليأس والكلل ، ولا يركن إلى الدنيا..واعلم أن من علامات الحج المبرور الدوام على الاستقامة ، وأن تعود إلى أهلك وبلدك بأفضل مما كنت عندهم ، وأن تزهد في الدنيا وترغب الآخرة.

أسأل الله تعالى أن يجعل حجك مبرورا ، وذنبك مغفورا ، وسعيك مشكورا، وأرجعك الله إلى أهلك بالخير والسلامة ، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1) متفق عليه.
2) سورة الأنفال الآية 63.
3) سورة البقرة، الآية 163.
4) سورة الحج، الآية 27.
5) سورة الذاريات، الآية 56.
6) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وابن حبان من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
7) رواه الطبراني والأصبهاني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
8) حديث حسن أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما.
9) رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له.

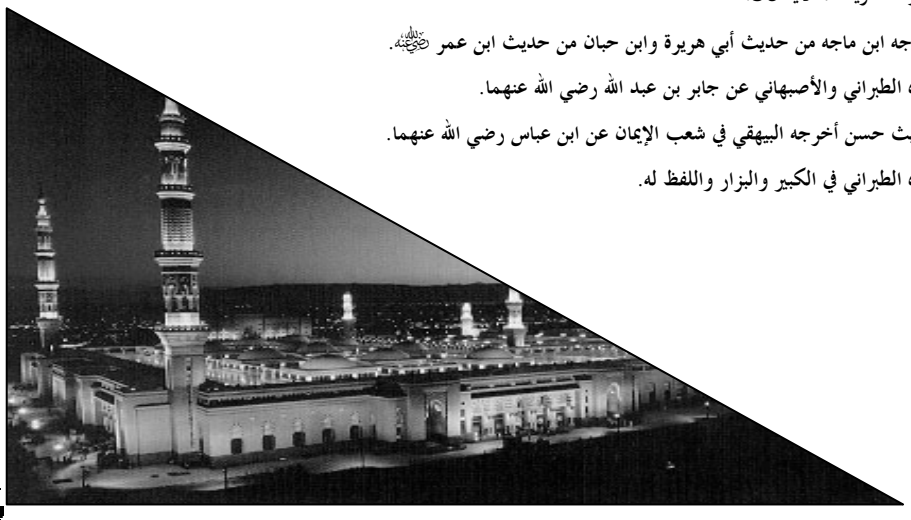

الحج

مؤتمر إسلامي مهم يتجدد في كل عام

د. شفيق موسى عياش / جامعة القدس

الحمد لله الذي جعل الحج على المستطيع حجا لازما، وجعل في مكة المكرمة حرما آمنا، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير من حج واعتمر، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد قال ﷻ: " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " (آل عمران 96-97).

فالحج ركن من أركان الإسلام، فرضه الله ﷻ على كل مسلم قادر، لمقاصد سامية وحكم عالية، ففي الحج يتلاقى المسلمون على اختلاف شعوبهم وأوطانهم وألوانهم ولغاتهم، في مؤتمر إسلامي مهم يتجدد في كل عام، يتحملون المشاق والمتاعب في سبيل تأدية هذه الفريضة السامية. **حقا إنه لمؤتمر مهم يجمع المسلمين** من كل بقاع الأرض في مكان واحد، وفي وقت واحد، يجمعهم بكل شيء، يجمعهم حتى باللفظ واللباس، فهم جميعا يرددون " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"، وهم أيضا يلبسون ذلك الرداء الأبيض، الذي يدل على النقاء والطهارة.

وهم جميعا يسعون ويطوفون ويرجمون رمز شياطين الأرض من الإنس والجن ، وبهذا التوحد العجيب بين أبناء الأمة الإسلامية يحقق الحج أسمى معاني الوحدة الإسلامية.

فالحج أمل كل مسلم بدأ القنوط واليأس يدب في أوصاله من عدم تحقيق الوحدة العربية، هذه الوحدة التي أرهقت وأنهكت العرب والمسلمين، شعرا ونثرا ، مؤتمرات وندوات، وأتعبتهم ثورات وانقلابات، **الوحدة العربية التي أوجدت الرئيس الأوحد**، وحدة العرب التي رمت اسرائيل في البحر، ولا يهم أي بحر سواء أكان البحر الأبيض ، أم البحر الأسود المهم أنها قذفت ورمت بالأقوال لا بالأفعال.

ولو أن المسلمين المجتمعين في مثل هذا المؤتمر الذي يتجدد في كل عام يتذكرون بأن الوحدة ليست مجرد لقاء بين نظامين ، وأن الوحدة ليست شعارا تتلهى به الشعوب والأنظمة الحاكمة، وإنما الوحدة الإسلامية هي وحدة الجماهير المؤمنة، التي تعتصم فيها بحبل الله المتين ، هي هذا اللقاء الجماهيري الضخم الذي تتساوى فيه كل الشعوب، لا فرق فيه بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، ومن لم يكن هذا اللقاء واعظه، فلا واعظ له كما يقولون.

لقد أراد الله ﷻ لهذه الأمة أن تكون واحدة في عقيدتها ، وفي أداء شعائرها ، يجتمع أفرادها في صعيد واحد ، وقد وحدت بينهم روابط العقيدة ، وجمعتهم مشاعر الانتماء ، فانتفت عنهم فوارق الجنس واللون واللسان ، وعلى هذا الصعيد يشهد المسلم منافع الدنيا والآخرة ، حيث قال ﷻ: " لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ " (الحج 28).

وفي مؤتمر الحج تتجلى مظاهر المساواة، وذلك في الإحرام ، والوقوف بعرفات، والطواف ببيت الله الحرام، فالكل سواء في التوجه إلى الله ﷻ، لا فرق بين سيد ومسود وخادم ومخدوم، وإذا سرت روح المساواة بين الناس كانت عليهم خيرا وبركة، ويمنا ورحمة، ومحبة وإخاء.

وفي مؤتمر الحج إحياء لأعظم الذكريات الخالدة التي عاشها الرسول ﷺ وصحابته الأخيار، فيرى الإنسان المؤمن البقاع الطاهرة التي شهدت مولد الرسول محمد ﷺ واعتزت بمواقف الرسول الكريم وصحابته المجاهدين الأبطال، الذين ضحوا في سبيل الله بكل غال ونفيس، فتثور في نفسه كوامن العزة والكرامة، ودوافع الجهاد لإعادة مقدساتنا وأراضينا المغتصبة في كل مكان، كذلك تتجلى الصعوبات التي لاقاها رسول الله ﷺ في نشر الدعوة إلى الله ﷻ في الأرض القاحلة الموحشة ، وبين قوم جفاة حفاة.

وفي مؤتمر الحج يكتسب الإنسان المؤمن ثقافة واسعة ، وخبرة عملية فهو يختلط في الناس ، فيتحسس مشاعرهم ، ويتعرف أخبارهم.

إن الله ﷻ قد وجه الدعوة إلى حج بيت الله الحرام منذ أن رفعت قواعده، قال تعالى: "وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ " (الحج 27 – 28).

وقد عرف العلماء الأوائل قيمة هذا المؤتمر السنوي المتجدد فاتخذوا منه فرصة لتبادل الآراء ، وتعرُّف الأفكار ، والاستفادة منها ، وتوظيفها في مكانها الصحيح، فها هو الحج على الأبواب فاستعدوا للوفادة إلى بيت الله الحرام ، وتلبية دعوته ، وندائه الكريم ، وزيارة قبر الحبيب محمد ﷺ ، والتشرف بالسلام عليه.

فاحذروا التسويف أيها المسلمون القادرون على الحج ، فإن أحدكم لا يعلم متى يلاقي ربه، ويأتيه أجله ، وما هلك الهالكون إلا بالتسويف "**فحجوا قبل أن لا تحجوا**".

قال ﷺ: " مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" رواه البخاري

اللهم حقق الآمال، واختم بالصالحات لنا الاعمال ، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصل اللهم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم

التأمل في أركان الحج

ومقاصده تجلب النفع والخير للمسلمين جميعا

بقلم فضيلة الشيخ/ حسن أحمد جابر/ مفتي محافظة رفح

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، يقول الله ﷻ " وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ " (الحج 27).

أيها المسلمون هذه أيام فريضة محكمة من أعظم فرائض الإسلام ، وركن عظيمٌ من أركان الإسلام الخمسة ، آلا وهي الحج إلى بيت الله الحرام، فإن الحكمة التي شرع الحج من أجلها جاءت لتحقق مصلحة للمسلمين بعامة ، وللحجيج بخاصة ، فهناك مقاصد كثيرة يتحقق بها الخير والنفع للحاج ، أولها :

النية مع الإحرام بالحج أو بالحج والعمرة معا : فإن الإحرام يعني التجرد من كل أعراض الدنيا وزخارفها ، فيجب أن يكون الإحرام بالقلب قبل أن يكون باللسان ، فالإحرام بالقلب يعني التوبة النصوح ، وتطهير القلب و الجوارح من كل ما هو إثم ومحرم ، ومن الغل والحقد والحسد، ويعني الإحرام أيضاً أن يخلع الإنسان ملابسه الفاخرة ، ويلبس ثياباً تشبه ثياب الآخرة، فإن لبس هذه الثياب البيضاء يدل على نقاء قلب المحرم وطهارته ، فحين يخلع الإنسان هذه الملابس التي كان يظلم ، أو يُظلم فيها ، ويلبس قطعة من قماش ليس لها جيوب، فإنه يذكر بذلك أمراً عظيماً ، وهو حين يقوم الناس لرب العالمين فيخرجون من قبورهم حفاة عراة غرلا، لا ينظر بعضهم إلى عورة بعض من شدة هول الموقف وعظمه، لما جاء في الحديث (عَنْ عَائِشَةَ

قالتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ).

يذكر المحرم هذا فيزيده هذا الإحرام تعلقًا بخالقه واستعدادا لهذا اليوم العظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين فيرجع الحاج من حجه طاهرًا نقيًا من الذنوب والآثام ، وبذلك يكون حجه مبروراً ، وذنبه مغفوراً ، لذلك يقول النبي ﷺ : "الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة".

وأما الركن الثاني من أركان الحج الذي يجب أن يتأمل الحاج فيه فهو الوقوف بعرفة، فإن هذا اليوم العظيم الذي يجتمع المسلمون فيه من كل بقعة من بقاع الأرض في مؤتمرهم العام يتدارسون فيه قضاياهم الملحة ، وما يطرأ عليهم من أمور تخص عقيدتهم ووحدة كلمتهم ، فيضعون الحل السريع والمناسب لهذه القضايا الصعبة ، يتأمل المسلمون ـ جميعًا بوجه عام، والحجاج بوجه خاص ـ هذا اليوم الذي أرسى فيه النبي ﷺ قواعد دولة الإسلام الخالدة ، وذلك في خطبة الوداع ، حيث وضع القواعد والأسس التي يجب أن يقوم عليها بناء كل دولة تريد القوة والمنعة حين خطب بالمسلمين قائلاً :" فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ " سنن الترمذي ، محذراً من الربا الذي هو استغلال الأغنياء حاجة الفقراء إلى المال ، مبينًا أن هذا الاستغلال يؤدي إلى فساد الأمة والمجتمع، كما أوصي النبي ﷺ في هذا اليوم بالنساء خيرًا حين قال "استوصوا بالنساء خيرًا ، فإنهن عوان عندكم" وذلك ليزيد المجتمع الإسلامي قوة وصلابة وتماسكاً .ثم ختم النبي ﷺ خطبته الجامعة في هذا اليوم العظيم التي حث فيها المسلمين في كل وقت وحين على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ، قائلاً لهم " أيها الناس لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا " وكأنه يودع المسلمين جميعاً ويحثهم على الالتزام بكتاب الله وسنه نبيه.

والركن الثالث : التأمل في الطواف بالبيت العتيق الذي كرمه الله وبارك فيه وبارك من يزوره ففي ذلك يقول الله ﷻ :(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى

لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران 96-97) .

فإشارة الحاج بيده إلى موضع الحجر الأسود تذكرنا بأن النبي ﷺ هو الذي وضعه بيده الشريفة في هذا الموضع حين فض الخصومة التي كادت تنشب بين قبائل العرب علي من يضع الحجر في مكانه ، ولشدة فطنة النبي وذكائه أمرهم : أن يضعوا الحجر على ردائه ويحملوه جميعًا ليأخذه بيده الشريفة ويضعه في المكان الذي هو فيه الآن ، فهذا أعظم دليل على أن الأمة المحمدية ستبقى موحدة وقوية رغم كيد الكائدين .

وأما المقصد الرابع فهو التأمل في السعي بين الصفا والمروة ، فيستلهم المسلمون دروساً وعبراً ، منها أنه من يتوكل على الله ويعتمد عليه ، فإن الله ﷻ لا يكله ولا يتركه غمضة عين ، فيذكر المسلمون هذا الأمر حين وضع الخليل إبراهيم عليه السلام زوجته : هاجر وولده إسماعيل في هذا الوادي الموحش بأمر من الله ، فلما تركهما قالت له : يا إبراهيم آلله أمرك بهذا أم هو من نفسك ، فقال : الله أمرني به فقالت له مفوضة أمرها إلى الله : **إن الله لا يضيعنا ، وبعد أن نفذ ما عندها من طعام وشراب ، شعرت بالعطش فأخذت تسعى في طلب الماء في كل مكان** ، فصعدت على جبل الصفا تارة ،وعلى جبل المروة تارة أخرى ، وإذ بقيادة السماء تتحرك ، فيأمر الله ملكًا أن يضرب بحافره الأرض فتتفجر عين ماء عذبة فيها شفاء للناس، وهي ماء زمزم فشربت وسقت ابنها إسماعيل من هذا الماء ، الذي قال عنه الرسول ماء زمزم لما شرب له ، وهي الشفاء من كل داء .

والمقصد الخامس من مقاصد الحج وهو الحلق والتقصير ، ويعني هذا النسك أن الحاج بفعله هذا يتجرد من كل ذنب كان قد فعله قبل الحج ، بادئًا مع الله عهدًا جديدًا على الطهر والنقاء والتقوى .

وأما المقصد السادس فهو التأمل في رمي الحجاج للجمرات ، حيث يذكرون بفعلهم هذا تعرض الشيطان اللعين لنبي الله إبراهيم عليه السلام عندما هم بذبح ولده إسماعيل بأمر من الله ﷻ ،

فوسوس الشيطان لإبراهيم يومها قائلاً له :كيف تذبح ولدك وفلذة كبدك ، فعرف إبراهيم أن هذا من الشيطان فتغلب عليه قائلاً له : أخزاك الله يا عدو الله ، ونجح إبراهيم في الاختبار، وهم بذبح ولده مطيعًا أمر ربه فجاءته البشرى من السماء أن "وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " (الصافات 104-105) ، وفدى الله ﷻ إسماعيل بذبح عظيم ، ومنذ ذلك اليوم يرمي الحجاج جمارهم ، إرضاء للرحمن ، وإخزاءً للشيطان ، إقتداءً بنبي الله إبراهيم عليه السلام .

فهذه تأملات في أركان الحج ومقاصده ، ليت المسلمين جميعًا يستلهمون منها الدروس والعبر، لتعلو كلمتهم وتقوى شوكتهم ، ويعزهم الله وينصرهم على أعدائهم .

وفي الختام نسأل الله العلي القدير أن يتغمد شهداءنا بواسع رحمته ، ويشفي جرحانا ، ويفك أسرانا ، وأن يأتي العام القادم وقد وحد الله كلمتنا ، وجمع على الخير صفوفنا ، ومكننا من استخلاص حقوقنا كافة ، وبناء صرح دولتنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، إنه على ما يشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

رحلة العمر إلى الحج

الاستاذ كايد عودة براهمة / مدير أوقاف محافظة أريحا

الحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وأمنا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، وبعد :

المقدمة :

يُعدُ الحج الركن الخامس من أركان الإسلام ، وهو الفريضة التي أوجبها الله تعالى على المستطيعين من عباده مرة واحدة في العمر ، استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام : (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)(1).

ويوم أن كتب الله تعالى عليهم هذه الفريضة ، جاءوا من كل فج عميق يلبون النداء قائلين: لبيك اللهم لبيك ، التزاماً بشرعك ، وسيراً على نهج خليلك في التضحية وبذل النفس والنفيس ، من مال وولد في سبيل نصرة دينك ، ومحاربة الشيطان وأعوانه ، وبذلك تتم النعمة، وتهدأ النفس الحائرة ، وتتحقق أشواقها .

تعريف الحج

الحج في اللغة : القصد إلى معظم (2) .

الحج في الاصطلاح : قصد زيارة البيت العتيق على وجه التعظيم ، لأداء الأعمال المفروضة ، من الطواف بالكعبة ، والوقوف بعرفة ، وغيرها(3).

حكمة الحج ودليل مشروعيته

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة ، وهو فرض عين على كل مسلم قادر على أدائه ببدنه وماله ، قال تعالى : (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (4)

وروي عن أبي هريرة ـ ﷺ ـ انه قال : (خطبنا رسول اللّه ـ ﷺ ـ فقال : "أيها الناس ، قد فرض اللّه عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول اللّه؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول اللّه ـ ﷺ ـ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم") (5).

وقد أجمعت الأمة الإسلامية على فريضة الحج وعلى أن جاحدها كافر (6).

الحج على الفور أم على التراخي :

1. يرى جمهور الفقهاء ، أن الحج يجب على الفور ، فلا يجوز لمن وجب عليه الحج ان يؤخره للعام الذي يليه . 2. وقال الشافعي وأحمد في رواية عنه يجب على التراخي شريطة أن يؤديه قبل الموت ، ويجوز تأخير الحج من غير عذر موجب للتأخير (7).

واستدل الجمهور بقوله تعالى : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) ، وقوله تعالى :(وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ) (9) . ولفظ الأمر يقتضي الفورية ، واستدلوا بما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : (من أراد الحج فليتعجل ، فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة) (10).

واستدل الشافعية بأن النبي ـ ﷺ ـ فتح مكة سنة ثمان للهجرة وبعث أبا بكر ؛ ليحج بالناس سنة تسع ، ولم يحج إلا في السنة العاشرة للهجرة ، ولم يكن يشغله عن الحج شاغل ، فدل أنه واجب على التراخي (11).

فضل الحج

إن رحلة العمر إلى الحج يرجع صاحبها منها مأجوراً ، قد غفر الله له ذنوبه جميعاً. فقد أعد الله ـ تعالى ـ لحجاج بيته أجراً عظيماً ، عن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قال:سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول :

(من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه) (12)، وعنه أن النبي - ﷺ - سئل : أي الأعمال أفضل؟ قال : (إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال: حج مبرور) (13).

حكمة مشروعية الحج :

للحج حكم كثيرة ، يمكن إيجازها بما يلي :

1- يقوي الحج صلة العبد بربه ، فهو مظهر للطاعة واستجابة لأمر الله تعالى .

2- يعمل على توحيد مشاعر المسلمين ، فالمسلمون على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وبلادهم جاءوا يلبون نداء ربهم، غايتهم واحدة ، هي عبادة الله وحده .

3- التأسي بسيدنا إبراهيم - عليه السلام - وزوجته وولدهما إسماعيل عليه السلام في الامتثال لأمر الله والثبات على الحق والإصرار على محاربة الشيطان وأعوانه ، والصبر على الشدائد.

4- تتحقق فيه معاني الوحدة بين المسلمين ، فيتدارسون قضاياهم ويتعاونون على الخير ، وصد العدوان عن أرضهم ومقدساتهم ، وهو مؤتمر دعوي شوري عام تبحث فيه قضايا المسلمين .

5- تتحقق للمسلمين في الحج منافع اقتصادية حيث يكثر فيه البذل والعطاء من الأغنياء لإخوانهم الفقراء ، ويتم فيه تبادل السلع ، فيكون سوقاً اقتصادية تعود بالخير والنفع على البلاد الإسلامية .

شروطه

1- **التكليف** ، فالحج واجب على البالغ العاقل لقوله ﷺ : (رفع القلم عن ثلاثة:عن الصبي حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ)(14).

2- الاستطاعة ، وهي قسمان :

أ- الاستطاعة بالمباشرة ، وتشمل : صحة البدن ، والقدرة على الزاد والراحلة ، وأمن

الطريق ، والمحرمية بالنسبة للمرأة ، وقال الشافعية والمالكية : يجوز أن تخرج المرأة مع نسوة ثقات ، أو رفقة مأمونة من النساء (15).

ب- الاستطاعة بالنيابة : وتكون في حق المريض مرضاً لا يرجى شفاؤه ، أو الشيخ الهرم، ومن في حكمهما ، وذلك لما روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما - أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله على عباده في الحج قد أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه؟ قال : نعم) (16).

ويجوز الاستنابة في الحج عن الميت ، لما روي عن بريدة ، أنه قال : أتت امرأة النبي -ﷺ- فقالت: (إن أمي ماتت ولم تحج ، قال : حجي عن أمك)(17).

سادسا : مواقيت الحج:

1- المواقيت الزمانية وهي : شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة ، فعن نافع عن ابن عمر أنه قال :(أشهر الحج : شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة) (18).

2- المواقيت المكانية : فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : وقّت رسول الله - ﷺ - لأهل المدينة "ذا الحليفة" ولأهل الشام "الجحفة" ولأهل نجد"قرن المنازل" ولأهل اليمن "يلملم"(19).

فالمواقيت الزمانية لا يجوز للمسلم أن يشرع في أداء أعمال الحج إلا فيها ، أما المواقيت المكانية فلا يجوز للمسلم أن يتجاوزها بدون أن يحرم منها

أعمال الحج

1. الإحرام : وهو ركن من أركان الحج عند الشافعية والمالكية ، وقال الحنابلة: الإحرام من واجبات الحج ، وقال الحنفية: الإحرام شرط جواز أداء أفعال الحج (20) ، فيقوم الحاج بلبس إزار ورداء ونعلين ، حيث يحرم على المحرم أن يلبس المخيط من الثياب ، ويستحب أن يكونا أبيضين نظيفين(21).

وأنواع الإحرام ثلاثة :

1. الإفراد بأن يقصد الحاج بإحرامه أداء الحج فقط ، 2. القران بأن يقصد الحج والعمرة معاً ، 3.المتمتع بأن يقصد الإحرام بالعمرة فإذا أداها تحلل من إحرامه ، ثم يحرم بالحج من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة ، ولا يخرج إلى الميقات ، ويؤدي أفعال الحج كاملة.

واتفق الفقهاء على جواز هذه الأنواع الثلاثة لما روي عن عائشة ـرضي الله عنهاـ أنها قالت : (خرجنا مع رسول اللّه ـ ﷺ ـ في حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ، ومنا من أهل بحج وعمرة ، ومنا من أهل بحج)(22).

اما محظورات الإحرام فهي : لبس المخيط ، والطيب ، وستر الرأس ، وستر المرأة وجهها ولبس القفازين ، وحلق شعر الرأس أو اليدين ، تقليم الأظافر ، والفسق والجدال والشتم والكلام القبيح والخصومة ، والجماع ومقدماته ، والخطبة والزواج والتزويج ، وقتل الصيد أو التعرض له ، وقطع شجر الحرم أو نباته.

كما أن مكروهات الإحرام تشمل : حك الشعر ، والكحل ، ولبس الثياب المصبوغة بورس أو زعفران ؛ لأن هذه الصبغة فيها طيب .

وهناك مباحات الإحرام التي منها : لبس الحزام ، والحجامة ، وتقلد السلاح ، والتجارة ، والإغتسال ، والإستظلال، والنظر في المرآة ، وقتل الغراب والحدأة والكلب العقور والفأرة .

2. التلبية : وهي سنة عند الشافعية والحنابلة ، وذهب بعض الفقهاء إلى وجوبها ، والراجح أنها سنة (23).

3. الطواف بالبيت : وهو الدوران حول الكعبة سبعة أشواط ، امتثالاً لأمره سبحانه : (وليطوفوا بالبيت العتيق) (24) .و يبدأ كل شوط من الحجر الأسود ، وينتهي عنده ويجعل الكعبة عن يساره .

والطواف في الحج ثلاثة أنواع : طواف القدوم أو التحية ، وهو سنة في حق القادم إلى مكة ، وطواف الإفاضة أو الزيارة، وهذا الطواف من أركان الحج ، وطواف الوداع وهو واجب ، يجب على من تركه دم ، ويستثنى من ذلك المرأة إذا حاضت ، فإنه يسقط عنها (25).

4. السعي بين الصفا والمروة ، وهو المشي بين جبلي الصفا والمروة سبعة أشواط يبدأ من الصفا إلى المروة ، ثم الشوط الثاني في العودة من المروة إلى الصفا فهكذا حتى ينهي الأشواط السبعة ، وهو ركن من أركان الحج لا يصح الحج إلا به ، ولا يجبر تركه بدم ، بهذا قال الشافعية والمالكية واحمد في رواية ، وقال الحنفية السعي واجب ، وليس ركناً يجبر تركه بدم (26).

5. الوقوف بعرفة : وهو ركن من أركان الحج ، قال ﷺ : (الحج عرفة) (27). ويكون بعد غروب شمس يوم التاسع من ذي الحجة ، ولو لحظة ، سواء أكان قائماً أم راكباً أم جالساً.

6. الوقوف بالمشعر الحرام في مزدلفة ، ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه واجب ، فمن تركه وجب عليه دم ، وهو مندوب عند الشافعية ، فلا يجب بتركه دم عندهم (28).

7. أعمال يوم النحر في صبيحة العاشر من ذي الحجة وتشمل : رمي جمرة العقبة ، وذبح الهدي الواجب إن كان قارناً أو متمتعاً ، والحلق والتقصير وطواف الإفاضة ، ولا يشترط أن يأتي بهذه الأعمال مرتبة ، فلو فعل أحدها قبل الآخر جاز ، ولكن الترتيب أفضل ، لأنه سنة.

الاحصار بالحج

وهو المنع بعدو من الوقوف بعرفة ، أو الطواف أو السعي عند الشافعية ، وقال الحنفية : المنع بمرض أو عدو من الوقوف والطواف (29). ، قال تعالى : (وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) (30) ومن تحلل بالإحصار لزمه دم ، وهو شاة ، فإن لم يجد صام عشرة أيام ، ثلاثة في الحج وسبعة بعد العودة إلى الأهل ولا يجوز العدول عن الشاة إلى الصوم مع وجودها . وفي الختام نسأل الله تعالى لحجيج بيت الله الحرام : (حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، وذنبا مغفورا ، وتجارة لن تبور) .

الفهرس والمراجع

1- سورة ابراهيم ، الآية : (37) .
2- المعجم الوسيط : (حج).

3- العتر ، نور الدين ، الحج والعمرة ، ط مؤسسة الرسالة ، عمان :ص11.
4- سورة آل عمران : (97) .
5- مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مطبعة دار البحوث العلمية ، الرياض ، 1980م ، 179/2).
6- الحصني ، تقي الدين ، ابو بكر بن محمد الحسيني ، كفاية الاخيار ، دار المعرفة ، بيروت : (134/1).
7- النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف النووي ، المجموع شرح المهذب ، الناشر:زكريا على يوسف ، مطبعة الامام بمصر : (103/7).
8- سورة آل عمران ، الآية : (97) .
9- سورة البقرة ، الآية : (196) .
10- ابن حنبل ، احمد بن حنبل ، مسند الامام احمد (ت241 هـ) ، دار الفكر بيروت ط1978: رقم 1974).
11- ابن قدامة ، موفق الدين عبد الله (ت62هـ) ، المغني ، مطبعة الامام ، القاهرة: (217/3) .
12- البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت256) ، صحيح البخاري ، مطبوع مع شرحه فتح الباري ، دار المعرفة ، بيروت : (382/3) .
13- رواه البخاري ، كتاب الحج ، باب فضل الحج : (381/3) .
14- البيهقي ، احمد بن الحسن بن علي (ت458هـ) ، السنن الكبرى ، دار الفكر ، بيروت : (325/4).
15- المغني لابن قدامة : (213/3) .
16- رواه البخاري : (387/3) .
17- رواه البيهقي : (336/4) .
18- رواه البخاري : 419/3.
19- رواه البخاري : (384/3) .
20- عقلة ، محمد ، احكام الحج والعمر ، ط1 ، مكتبة الرسالة ، عمان : ص(78) .
21- الحصنى : (140/1) .
22- رواه البخاري : (421/3) .
23- الحصني : (138/1).
24- سورة الحج ، الآية (29) .
25- الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد ، الوجيز ، ط دار المعرفة ، بيروت ، 1979م : (123/1) .
26- الحصني ، (136/1) .
27- ابو داود ، عبد الله بن سليمان الاشعث (ت316) ، سنن ابي داود ، مطبعة المعرفة ، بيروت : (486/2).
28- المغني لابن قدامة : 377/3 .
29- الحج والعمرة للعتر : ص(166) .
30- سورة البقرة ، الآية : (196) .

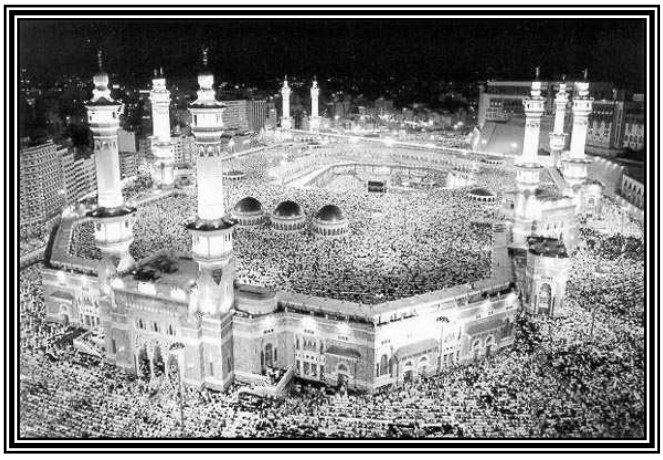

كفالة اليتيم في الشريعة الإسلامية

الشيخ : عمار توفيق أحمد بدوي/ مفتي محافظة خولكرم

تعدُّ كفالة اليتيم من أنبل الأعمال التي حثّت عليها الشريعة الإسلامية، وظهر من خلالها تكافل المجتمع المسلم، وهذه الدراسة الموجزة تلقي الضوء على كفالة اليتيم، وتبرز دور الشريعة في رعايته، والمحافظة على حقوقه.

تعريف اليتيم:

"اليتم: الإنفراد. واليتيم: الفرد. واليُتْم، واليَتَم: فقدان الأب. واليُتْم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم. وقيل: أصل اليُتم الغفلة. وبه سمي يتيماً؛ لأنه يتغافل عن بِرِّه. وقيل: اليُتم: الإبطاء؛ لأنّ البِرَّ يُبطئ عنه. واليَتم: الحاجة"[1]. "وكل شيء مفرد يعز نظيره؛ فهو يتيم. يقال: دُرّة يتيمة"[2] "واليتم: انقطاع الصّبي عن أبيه قبل بلوغه"[3]. و"اليتيم: هو المنفرد عن الأب؛ لأن نفقته عليه لا على الأم. وفي البهائم اليتيم: هو المنفرد عن الأم؛ لأنّ اللبن، والأطعمة منها"[4].

زوال صفة اليُتم: قيل: " يقال للمرأة يتيمة لا يزول عنها اسم اليُتم أبداً، وأنشدوا: وينكح الأراملَ واليتامى. وقيل: تدعى يتيمة ما لم تتزوج؛ فإذا تزوجت زال عنها اسم اليُتم، وأنشدوا:

أفاطمَ إني هالك فتثبّتي ولا تجزعي كلُّ النساء يَتيمُ

واليتم في الناس: فَقْدُ الصّبي أباه قبل البلوغ. والأنثى يتيمة. وإذا بلغا زال عنهما اسم اليتيم حقيقة، وقد يطلق عليهما مجازاً بعد البلوغ. كما كانوا يسمّون النبي ﷺ، وهو كبير يتيم أبي

طالب؛ لأنه ربّاه بعد موت أبيه"[5]. وتزول صفة اليتم عن اليتيم بالبلوغ، لما رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: "لا يتم بعد احتلام"[6].

تعريف الكفالة في اللغة :

جَذْرُ كلمة الكفالة : هو كَفَلَ. "الكاف، والفاء، واللام أصل صحيح، يدلّ على تضمّنِ الشيء للشيء"[7].

"والكافل: الذي يكفل إنساناً يعوله"[8]. ووردت مشتقات الفعل كَفَلَ في القرآن الكريم، ولها معانٍ ذاتُ صلةٍ ببحثنا؛ منها قوله تعالى: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) [آل عمران:37]. " أي كفّلها الله تعالى، والمعنى تضمّنها"[9]. "وقوله عزّ اسمُه: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) أي: هو كفل مريم؛ لينفق عليها حيث؛ ساهموا على نفقتها حين مات أبواها"[10]. وقوله تعالى: (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً) [سورة النحل:91]. " والكفيل: الحظّ الذي فيه الكفاية؛ كأنه تكفّل بأمره"[11].

كافل اليتيم :

"الكافلُ الذي يكفل إنسانا يعوله"[12]. و"الكافل: القائم بأمر اليتيم المربي له، وهو من الكفيل: الضمين"[13].

مفهوم الكفالة في الشريعة الإسلامية :

كفالة اليتيم مفهومها واسع في الشريعة الإسلامية؛ لا تقف حدودها عند تدفق العطف، والحنان، ولا تتوقّف أحكامها على لُطف الرعاية، وفضل الإنفاق، وحسن التربيةُ. فالشريعة أوجبت ذلك كلّه، وحَمَتْ اليتيمَ بالتشريعات، وصانت كرامتَه، طفلاً يافعاً، وحفظت أمواله، وأوجبت عقوباتٍ خطيرةً لمن يعتدي على حقّ اليتيم، وحذّرت مَنْ مصيرٍ وخيمٍ ينتظرُ مَنْ يتجرأ على ذلك.

وصنعت عُرفاً اجتماعياً يتخوّف أيّما تخوّف من إيذاء اليتيم، ونّمت شعوراً عامّاً يتنافس في الإحسان إلى اليتيم تنافساً خيّراً. وجعلت أفئدةَ المجتمع تخفق مع مشاعر اليتيم خفقاً، والعيون

تمتلئ بالدموع عطفاً إذا ما ذُكر اسمُ يتيم. خاصة أولئك الأيتام من أبناء شهدائنا الأبطال الذين قضوا نحبهم في سبيل الله، دفاعاً عن الأرض المقدّسة فلسطين.

معالم كفالة اليتيم في الشريعة

نظراً لاتساع مفهوم كفالة اليتيم في الشريعة؛ فسأبيّن معالمها العامة، وخطوطها الرئيسة، وأركانها الثابتة التي دونها لا تكون كفالة. وهذه المعالم هي:

أولا: الحض على كفالة اليتيم

كفالةُ اليتيم نعمةٌ جليلة، ذكّر بها الله ﷻ في معرِض النِّعم التي أسبغها على نبينا محمد ﷺ فقال ﷻ: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) [سورة الضحى:6]. " ألم يجدك يا محمد ربُّك يتيماً ؛ فآوى ، يقول : فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلاً تنزله"[14].

لقد ربط رسولُنا محمد ﷺ بين ما أسمى ما يرغب به المسلمون ، وبين كفالة اليتيم، فأسمى أمنية يسعى إليها المسلمون ؛ هي أن يكونوا في صحبة الحبيب محمد ﷺ؛ فألهبَ النبي ﷺ مشاعرَهم ، وطيّر إلى منازله أفئدتَهم، وذلك؛ برعاية اليتيم، وكفالته. عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وأشار بالسبابة، والوسطى، وفرج بينهما شيئا** [15]."

وعن مالك بن الحرث رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "**من ضم يتيما بين أبوين مسلمين إلى طعامه، وشرابه حتى يستغنى عنه؛ وجبت له الجنة البتة**"[16].

وكان النبي ﷺ يتيماً مكفولاً، وأطلق عليه العرب: " خير المكفولين"[17]

ثانيا: الحنان عليه

الآيات الكريمة التي عرضتْ الفِعْلَ: "كَفَلَ"، ومشتقاته، تدور حول معنى الضم، والرعاية، والإنفاق. والضمّ فيه معنى الحنان، والعطف، وهذا ما يحتاجه اليتيم، فاليتيم هو نفسه ينبوع المشاعر الحانية، وسببٌ من أسباب رقّة القلوب.

عن أبي هريرة ﷺ "أن رجلا شكا إلى رسول اللّه ﷺ قسوة قلبه، فقال له: إن أردت تليين قلبك؛ فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم"[18].

وفي لفتة نبوية شريفة ، امتدح النبي ﷺ فيها الحُنو على اليتيم، وخصّ النساءَ الحانياتِ عليه، روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "خيرُ نساء ركبن الإبل. قال: أحدهما صالح نساء قريش. وقال الآخر: نساء قريش: أحناه على يتيم في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده"[19]

ثالثا: حُسنُ معاملته، وطيبُ عشرته، والتحذيرُ من سوء معاملته.

أخذ الله ﷻ العهد، والميثاق على رعاية اليتيم، وقرن ذلك بكمال العبودية له ﷻ، فقال ﷻ : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ) [سورة البقرة:83].

كما أمر الله تعالى بعبوديته، ونهى عن الشّرك به ﷻ؛ لتبقى عقيدة التوحيد صافية، وجمع بين هذه الأوامر والنواهي، مع وجوب الإحسان لليتامى، فقال ﷻ: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ....) [سورة النساء: 36].

وقدّم القرآنُ الكريم "الوصية باليتيم على الوصية بالمسكين، ولم يقيدها بفقر، ولا مسكنة، فعلم أنها مقصودة لذاتها... إنّ السرّ في ذلك هو؛ كون اليتيم لا يجد في الغالب من تبعثه عاطفة الرحمة الفطرية على العناية بتربيته، والقيام بحفظ حقوقه، والعناية بأموره الدينية، والدنيوية... فإهمال اليتامى إهمال لسائر أولاد الأمة"[20].

والمتدبِّر للآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن معاملة اليتيم، يرى اللطفَ فيها، ويجدها تطفح بالمعاني الإنسانية؛ فانتقت عباراتٍ رقيقةً، تراعي المشاعر الإنسانية، فهي عباراتٌ رطيبةُ الملمس، تتفق تماماً مع المأساة التي حلّت باليتيم. واستنكر القرآن الكريم أفعال الجاهلية الشائنة، فقال ﷻ: (كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ* وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) [سورة الفجر: 17-18].

فالإحسان إلى اليتيم كَرَمٌ أصيل، والإعراض عن تكريمه؛ يستحق التوبيخ، وكان هذا شنيعةً جاهلية؛ تفتخر بمالها، ولا تلتفت إلى تكريم من أوجب الله إكرامه؛ ألا وهو اليتيم. وبلغت منازلُ الإحسان إلى اليتيم أعلى المراتب؛ حينما نزلت آيات من القرآن الكريم فاجأت العُرف الجاهليّ السائد، وقلبت المفاهيم الشائعة؛ فعدّت التكذيب بالدِّين يتمثل في إهانة اليتيم، ودَحْرِ طفولته المقهورة، وبسط السطوة المتسلطة على من فقد الساعدَ القويَّ المدافع عنه، فقال ﷻ: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) [سورة الماعون:1-2]. " وقد تكون هذه مفاجأة بالقياس إلى تعريف الإيمان التقليدي... ولكن هذا هو لُبابُ الأمر وحقيقتُه... إنّ الذي يكذّب بالدين؛ هو الذي يدفع اليتيم دفعاً بعنف ، أي الذي يهين اليتيم، ويؤذيه"[21].

معنى يدع اليتيم:" أي يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة، وأذى، ويرده رداً قبيحاً بزجر وخشونة"[22]. و"الدع: دفع في جفوة: أي يعنّف به عنفاً شديداً دفعاً وانتهاراً: أي يدفعه حقّه، وصلته"[23].

وهنا: "جعل عَلَم التكذيبِ بالجزاء؛ منع المعروف؛ والإقدام على إيذاء الضعيف: يعني أنه لو آمن بالجزاء، وأيقن بالوعيد؛ لخشي الله تعالى، وعقابه، ولم يقدم على ذلك... وإنها لجديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان، ورخاوة عقد اليقين"[24].

ونهى القرآن الكريم نهياً صريحاً عن الإساءة إلى اليتيم، فقال ﷻ :(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)[سورة الضحى:8].

رابعا: ضمان حقه، وحقوقه.

كان اليتامى يعاملون معاملة قاسية، خاصة إذا كُنَّ يتيمات، فتهضم حقوقُهنّ، وتسلب. وكذلك الذكور، ولكنّ الإناثَ أشدُّ ضرراً، وأسوأ معاملة. فجاءت الشريعة الإسلامية؛ لتكفل لليتامى واليتيمات كامل الحقوق المترتبة لهم، لا تشوبُ حقوقَهم شائبةٌ، وهي حقوق كاملة غير

منقوصة. يستظلون بعدل الشريعة، ورحمتها. وفي هذا السبيل شدّد النبي ﷺ على ضمان حقوق اليتامى، كسائر رعايا المسلمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "اللهم إني أُحرّجُ حقّ الضعيفين: اليتيم، والمرأة"[25]. ومعنى أُحرّج حقّ الضعيفين:" أي أضيّقه، وأحرّمه على من ظلمهما. يقال: حرّج على ظُلمك: أي حرمه"[26].

ومعناه أيضاً: "أحرّج عن هذا الإثم. بمعنى أن يضيع حقهما. واحذر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجراً أكيداً"[27].

خامسا: اقتطاع حقّ مالي واجب من موارد الدولة يقضي حوائجه.

لم تترك الشريعة الإسلامية اليتامى، ينتظرون صدقات المحسنين، وتبرعات المتصدّقين، وإن كانت حثّت على ذلك. بل أوجبت الشريعة لليتامى حقّاً واجباً لهم، يصرف عليهم من واردات الدولة؛ يساعد في قضاء حوائجهم؛ وذلك عبر فرض جزء من الفيء لهم. قال الله ﷻ :(مَّا أَفَاء [28]اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ) [سورة الحشر:7].

وفي أعقاب غزوة بدر نزل قوله ﷻ: (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [سورة الأنفال:41].

سادسا: حرمة أكل مال اليتيم بالباطل، وعدّ ذلك من كبائر الذنوب.

حرّمت الشريعةُ أكلَ مالِ اليتيم تحريماً شديداً، وذلك في آية تقشعر منها الجلود، وترجف الأبدان. قال ﷻ:(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) [سورة النساء:10].

وعدّت الشريعة أكل مال اليتيم، جريمة يتصاعد جرمها إلى درجة الكبيرة الخطيرة في مصافّ الآثام، والجرائم. عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا يا رسول الله: وما هنّ؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**"[29].

وهذا التحريم الغليظ لأكل مال اليتيم، يوجب سنّ العقوبات التعزيرية التي تتناسب معه، شدّة؛ للمحافظة على أموال اليتيم؛ وردع من يفعلون تلك الجريمة.

سابعا: تنمية مال اليتيم بالطرق المشروعة، والآمنة

وباب المحافظة على مال اليتيم أن ينمّى ماله بالطرق المشروعة، والآمنة حتى ينمو، ويتكاثر؛ فيستفيد منه اليتيم في حاله، ومآله؛ ويتجاوب المجتمع مع اليتيم في ذلك.

وعلى هذا النحو تفهم الآيات القرآنية من قوله ﷻ: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) [سورة البقرة: 220].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لّما أنزل الله ﷻ: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [سورة الأنعام:152]. وقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً) [سورة النساء:10]. انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه ، فيحبس له؛ حتى يأكله، أو يفسد؛ فاشتد ذلك عليهم؛ فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ؛ فأنزل الله ﷻ:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) [سورة البقرة:220]. فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرابهم بشرابه"[30].

" فلما أذن الله جلّ وعزّ مخالطة الأيتام مع قصد الإصلاح بالنظر إليهم وفيهم ، كان ذلك دليلاً على جواز التصرف في مال اليتيم ، تصرف الوصي في البيع، والقسمة، وغير ذلك على الإطلاق لهذه الآية.... وتواترت الآثار في دفع مال اليتيم مضاربة، والتجارة فيه، وفي جواز خلط

ماله بماله دلالة على جواز التصرف فيه بيعاً وشراء إذا وافق الصلاح، وجواز دفعه مضاربة إلى غير ذلك"[31].

ثامنا: عدّ الإنفاق على اليتيم من أفضل النفقة

عدّت الشريعة الإسلامية الإنفاق على اليتيم من أفضل النفقة التي ينفقها المسلم، قال الله ﷻ: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [سورة البقرة:215]. وكلُّ مسلم يطمع أن يكون من أهل الجنّة، ومن صفات الأبرار سكّانها، ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرا) [سورة الإنسان:8]. وأوضح القرآن الكريم أنّ النجاة تكمن في إطعام اليتيم، فقال ﷻ: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) [سورة البلد:11-16].

تاسعا: تربية اليتيم تربية إيمانية

أهمّ ما يُصنع لليتيم أن ينشأ التنشئة الإيمانية، وأن يربّى على الأخلاق الكريمة، فمقصد الشريعة من كلّ ما حاطت به اليتيم من عناية؛ هو أن يخرج سويّاً نافعاً صالحاً في المجتمع، وأن يتكاتف المجتمع؛ ليحاول أن يسدّ الثغرة التي وُجدت بوفاة أبيه مربّيه. فمهمة الكفالة تقوم بمهمّة الأب في كل جوانبها، وعلى رأسها التربية. فكلّ ما خوطب به الأب في تربية أبنائه، هو خطاب للكافل في تربية اليتيم.

الهوامش:

1. ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث. 5مج. تحقيق محمود الطناحي. المكتبة الإسلامية. ج5ص291. لم يذكر الطبعة، وبلد النشر، والتاريخ. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. 15مج. بيروت: دار صادر. ج12ص645، 646. فصل الياء.
2. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح. 1مج. ط1. تحقيق محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. 1415هـ/1995م. ص745.

3. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن. 1مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين. 1418هـ/1997م. ص610.
4. الجرجاني، محمد بن علي: التعريفات. 1مج. ط1. تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ. ج1ص331.
5. ابن الجزري: النهاية في غريب الحديث. ج5ص291. ابن منظور: لسان العرب. ج12ص645-646. فصل الياء.
6. أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود. 4مج. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مصر: دار إحياء السنة النبوية. كتاب الوصايا. باب ما جاء متى ينقطع اليتم. رقم الحديث 2873. ج3ص115. البيهقي، أحمد بن الحسين: سنن البيهقي. 10مج. تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز. 1414هـ/1994م. ج6ص57. الطيالسي، سليمان بن داود: مسند الطيالسي. 1مج. بيروت: دار المعرفة. ص243. الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير. 20مج. ط2. تحقيق حمدي السلفي. الموصل: مكتبة العلوم والحكم. 1404هـ/1983م. ج4ص14. وقال الهيثمي: "رجال ثقات". ينظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. 10مج. القاهرة: دار الريان للتراث. بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ. ج4ص334. وصححه الألباني. ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين: إرواء الغليل. 8مج. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ/1985م. ج5ص79.
7. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج5ص187. باب الكاف والفاء وما يثلثهما.
8. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين. 8مج. تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي. ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.1408هـ/1988م. ج5ص374.
9. الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن. ص487.
10. الفراهيدي: العين. ج5ص374. وهذا المعنى على قراءة التخفيف في الفاء من قوله تعالى ﴿ كفلها ﴾.
11. الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن. ص487.
12. الرازي: مختار الصحاح. ص586.
13. ابن الجزري: غريب النهاية. ج4 ص342. ابن منظور: لسان العرب. ج11ص589. فصل الكاف.
14. الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 12مج. ج12ص624. بلا طبعة، ولا تاريخ.
15. البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري. 6مج. ط3. تحقيق د. مصطفى البغا. بيروت: دار ابن كثير، اليمامة. 1407هـ/1987م. رقم الحديث4998. ج5ص2032.
16. ابن حنبل: مسند أحمد. 6مج. القاهرة: مؤسسة قرطبة. ج4ص344. الطيالسي: مسند الطيالسي. ص187. الطبراني: المعجم الكبير. ج19ص300. وصححه الألباني. ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة. 7مج. الرياض: دار المعارف. سلسة الأحاديث الصحيحة. ج7ص83.
17. "جاء وفد هوازن، وأتوا رسول الله ﷺ بالجعرانة، وقد أسلموا. قالوا: إنا أصل، وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك؛ فامنن علينا من الله عليك. وقام رجل من هوازن أحد بني سعد بن بكر يقال له زهير يكنى بأبي صرد فقال: يا رسول الله نساؤنا عماتك، وخالاتك، وحواضنك اللاتي كفلنك. ولو أنا لحقنا الحارث بن أبي شمر والنعمان بن المنذر ثم نزل بنا منه الذي أنزلت بنا لرجونا عطفه، وعائدته علينا وأنت خير المكفولين". ينظر: الطبراني: المعجم الكبير. ج5ص270. وينظر: الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح السيرة النبوية. 1مج. ط1. عمّان: المكتبة الإسلامية. ص20.
18. ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد. ج2ص263. البيهقي: سنن البيهقي الكبرى. ج4ص60. وحسّنه الألباني. ينظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج2ص507.

19. مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. 5مج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. رقم الحديث2527. ج4ص1958.بلا رقم طبعة، ولا تاريخ.
20. رواه مسلم وورد في رضا، محمد رشيد: تفسير المنار. 12مج. ط2. بيروت: دار الفكر. 1393هـ/1973م. ج1ص367، 368.
21. قطب، سيد: في ظلال القرآن. 6مج. ط10. بيروت: دار الشروق. 1402هـ/1982م. ج6ص3985.
22. الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. 4مج. بيروت: دار المعرفة. ج4ص289. بلا تاريخ، ولا رقم الطبعة.
23. الفراهيدي: العين. ج1ص80.
24. الزمخشري: الكشاف. ج4ص289.
25. ابن حنبل: مسند أحمد. ج2ص439. ابن ماجة، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة. 2مج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر. رقم الحديث3678. ج2ص1213. النسائي، أحمد بن شعيب: سنن النسائي. 6مج. ط1. تحقيق د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ/1991م. رقم الحديث9141. ج5ص363. الحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين. 4مج. ط1. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ/1991م. ج1ص131. وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. البيهقي: سنن البيهقي الكبرى. ج10ص134. وقال الألباني: حسن. ينظر: الألباني: سلسة الأحاديث الصحيحة. ج3ص12.
26. ابن الجزري: النهاية في غريب الحديث. ج1ص361.
27. ابن ماجة: سنن ابن ماجة. ج2ص1213.
28. الفيء: الراجع إلى المسلمين من مال الكفار بغير قتال. ينظر: ابن قدامة، عبد الله بن أحمد: المغني. 10مج. ط1. بيروت: دار الفكر. 1405هـ. ج7ص297.
29. البخاري: صحيح البخاري. رقم الحديث2615. ج3ص1017.
30. ينظر: ابن حنبل: مسند أحمد. ج1ص325. أبو داود: سنن أبي داود. رقم الحديث2495. ج2ص554. واللفظ له. النسائي: سنن النسائي. رقم الحديث3669. ج6ص256. البيهقي: سنن البيهقي الكبرى. ج5ص258. وحسّنه الألباني: ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن أبي داود. 2مج. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي. 1409هـ/1989م. ج2ص555.
31. القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. 20مج. ط2. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة: دار الشعب. 1402هـ. ج3ص60. وينظر في جواز تنمية مال اليتيم: الجصاص ، أحمد بن علي: أحكام القرآن. 5مج. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج4ص196. ابن قدامة: المغني. ج4ص318، 240، 241.

المرأة وصلاة الجماعة

دراسة حديثية وفقهية حول حديث: ".... صلاتك في بيتك خير من صلاتك في مسجدي"

بقلم أحمد ذياب عطايا / قسم القرآن الكريم / دائرة أوقاف رام الله

اتكأ بعض الشيوخ الموقرين على بعض النصوص الصحيحة أو الضعيفة فحرموا المرأة من ارتياد المسجد، وأغمضوا عيونهم المباركة الورعة التقية النقية عن أحاديث صحيحة صريحة في عدم منع المرأة من المسجد، والحق أن ما دفعهم إلى ذلك إلا غيرة جاهلية عمياء، والمسألة ليست مسألة تقى كما يزعمون.

لقد قرأت لأحدهم مصنفا يقول في إحدى صفحاته: أجمع العلماء على كراهية حضور النساء الجماعات في كل الصلوات، كراهية تحريم سواءً كن شابات أو عجائز، متبرجات أو متسترات، وذلك بعد أن أورد حديثاً ، لم يسنده كعادته في معظم ما أورد من أحاديث في كتابه، ونصّه: " صلاة المرأة وحدها تفضل صلاتها في الجمع خمسا وعشرين درجة".

والحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان "58/2" من طريق بقية بن الوليد، قال: حدثني أبو عبد السلام /الوحاظي/ حدثني نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال:" فذكر الحديث . وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس"3541"من طريق أبي نعيم، وأورده السيوطي في الجامع الصغير برقم"5092"وعزاه لمسند الفردوس ورمز لصحته، وتعقبه المناوي في فيض القدير "285/4" فقال: وفيه بقية بن الوليد، ولا أدري كيف حكم الألباني على الحديث في ضعيف الجامع وزيادته "3514" فقال: ضعيف، ثم عاد فحكم عليه في السلسلة الضعيفة "2887" فقال : منكر.

قال الإمام الذهبي في الميزان ، ترجمة أبي عبد السلام الوحاظي رقم "10393": من مشيخة بقية، العوام المجاهيل، والخبر منكر.

أما بقية بن الوليد فالقول فيه معروف، لا يحتج بحديثه، حتى قيل فيه: أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية، ذلك أن الرجل كان يدلس على الضعفاء .

والحديث كما قال الذهبي، وكما قال الألباني في السلسلة الضعيفة : منكر، وليس مجرد حديث ضعيف.

ثم ساق المؤلف الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن ابن عمر "900": "لا تمنعوا إماء اللّه مساجد اللّه"، لكنه - عفا الله عنه - حصره بأنه محمول على ما كان في حياته ﷺ ليستفدن من حضور مجلسه ﷺ ، وكأنه يريد أن يقول: إن الحديث نسخ بموته ﷺ وأصبح لاغياً، واتكأ في تحليله ذاك على قول عائشة رضي الله عنها" لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدثت النساء بعده لما أذن لهن في الخروج".

مع أن أولي الألباب متفقون على أن عائشة ليست مصدراً للتشريع ، وأن الله هو المشرع، وهو سبحانه أوحى لنبيه أن لا نمنع النساء المساجد، وهذا تشريع إلى يوم القيامة، والذي شرّعه سبق في علمه ما يؤول إليه الناس، ويعلم ما كان وما سيكون .

ونظرة واحدة إلى هذه الأمة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ، تكفي لأن تحكم أن الناس اتبعوا حديث رسول الله ﷺ، ولم يمنعوا النساء المساجد برغم ما حصل من تغيرات، ولم يتبعوا قول عائشة على جلالة قدرها، ونقول رداً على من يتخذ من قول عائشة متكأً :"لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدثت النساء من بعده لمنعهن من الخروج" نقول كما قال ابن حجر رحمه الله "لم يرَ ولم يمنع"، ولا يترك قول الله تعالى وحديث رسوله ﷺ، لقول بشر مهما علا شأنه.

ثم إن المؤلف ـ عفا الله عنه ـ أورد خبرين لتأكيد كلامه وتأييد رأيه ، بعد ما ذكر قول عائشة ، فقال: ذكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه "اعتلال القلوب" أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت الزبير بن العوام ﷺ ، فاستأذنته في الخروج للمسجد، فشق عليه استئذانها وكره أن يمنعها لحديث "لا تمنعوا إماء اللّه مساجد اللّه" فأذن لها ، ثم كمن لها في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرت

عليه وضع يده على بعض جسدها(وفي رواية : على عجيزتها) فكرّت راجعة، وسبقها الزبير إلى الدار وهي تسترجع (تقول : إنا لله وإنا إليه راجعون)، وفي رواية : وهي تسبّح، فقال لها : ماردك عن وجهك؟ قالت: كنا نخرج والناس ناس، أما اليوم فلا، فلم تخرج بعد.

هذه الرواية ذكرها – على هذا النحو ـ ابن حجر في أسد الغابة (ت 11452) وعزاها لابن عبد البر في التمهيد وهي كذلك، إلا أن فيها بعض الاختلاف، وساق سنداً طويلاً ومتناً أطول في التمهيد (10/243ـ 244).

أقول : لو صحت الرواية، فإن فعل الزبير ليس تشريعاً، ولسنا ملزمين بالاقتداء به، قال أبو حنيفة رحمه الله : إن كان الحديث عن رسول الله ﷺ فهو على الرأس والعين، وإن كان من الصحابة اخترنا من قولهم، وإن كان من التابعين زاحمناهم.

وقال الإمام مالك : لا تمنع النساء من الخروج إلى المساجد، وقال: تخرج المرأة المتجالة إلى المسجد ولا تكثر التردد، وتخرج الشابة مرة بعد مرة.

وذكر المؤلف ـ عفا الله عنه ـ خبراً عن الشافعي رحمه الله، فقال :" وقد كان الإمام الشافعي يقول أولاً بجواز ذهاب العجائز إلى المساجد للصلاة مع الجماعة دون الشابة، ففي ذات ليلة بينما كان ذاهباً بفاس إلى صلاة الفجر رأى رجلاً هرماً يسعى وراء امرأة عجوز وينداديها :" قفي وأعطيني بوشة" – يريد قبلة، وإنما لسقوط أسنانه من فمه خلط بين السين والشين، فرجع سيدنا الإمام الشافعي عن قوله بجواز حضور النساء العجائز الجماعات، وقال: رحم الله الإمام أبا حنيفة ما أدقّ نظره" قال المؤلف: ذلك أن أبا حنيفة يقول بالمنع مطلقاً.

قلت : إن الإمام النووي وهو من فقهاء الشافعية المتشددين يقول: لا تمنع المرأة من المسجد لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث، وهو أن لا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلخال يسمع صوته، ولا ثياب فاخرة ولا مختلطة بالرجال... إلخ ".

وما أدري من أين استقى المؤلف قصة الشافعي المذكورة، مع العلم أن أكثر الأئمة تشدداً في مسألة خروج النساء هو أبو حنيفة الذي كان يرخص للنساء الخروج إلى العيد بل يستحسنه، كأن لم يكن في خروجهن في شيء من الصلوات ما خلا العيدين، وذكر ابن عبد البر في التمهيد (10/241)عن أبي

يوسف "صاحب أبي حنيفة"، عن أبي حنيفة قال: كان النساء يرخص لهن في الخروج إلى العيد لكني اليوم أكرهه، وقال: وأرخص للعجوز الكبيرة أن تشهد العشاء والفجر، وقال أبو يوسف: لا بأس أن تخرج العجوز في الصلوات كلها وأكره ذلك للشابة". هذا هو رأي الحنفية، ورأي أبي حنيفة بالذات، والمؤلف يقول: ذلك أن أبا حنيفة يرى المنع مطلقاً، فتأمل!!!

إن الأمور ينبغي أن توضع في نصابها، وأن البحث العلمي يقتضي الحياد، فلا حظوظ للنفس والأهواء، وأن مسألة خروج المرأة إلى المسجد يجب أن توزن بالميزان الصحيح. والميزان الذي يتفق عليه المسلمون كلهم هو الحديث النبوي الشريف، فلنستعرض بعض الأحاديث التي تفيد أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، ثم ننظر نظرة سريعة إلى أسانيدها، ونقارنها بالأحاديث التي نهت المسلمين عن منع نسائهم المساجد لنصل إلى نتيجة تزيل الغشاوة وتنهي التخبط فيما يرى بعضهم أنها أحاديث متناقضة.

إن أشهر حديث يتداوله الناس في هذه المسألة ، هو حديث أم حميد الساعدي:أخرج الإمام أحمد في مسنده (371/6) أن أم حميد امرأة أبي حميد الأنصارية، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ﷺ إني أحب الصلاة معك . فقال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي . فأمرت ، فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه ، فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله ﷻ .

والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (1689)، وابن حبان(إحسان 2214)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (34/2): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد، وثقه ابن حبان.

والحديث صحح إسناده محقق المسند حمزة الزين، وحسّنه الألباني كما في تخريج الفتح الرباني، قلت: عبد الله بن سويد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير(109/5) وسكت عنه، وسكوت البخاري عن راوٍ لا يعني تعديله، أما قول الهيثمي: وثقه ابن حبان في الثقات، أكثر دقة، وهناك فرق بين قولهم: وثقه ابن حبان، وبين قولهم : ذكره في الثقات، مع العلم أن ابن حبان متساهل جداً في التوثيق وأن أهل العلم لا يأخذون بتوثيق ابن حبان لراوٍ إذا انفرد بالتوثيق، لكن عبد الله بن سويد قال فيه أبو زرعة:

صدوق، ولم يذكر ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل(309/1) فيه جرحاً ولا تعديلاً ، أما ابن حزم فقال: في سند الحديث مجهول، وأظنه هو عبد الله بن سويد.

وأخرج الطبراني في الكبير (148/25)عن أم حميد قالت : قلت يا رسول الله يمنعنا أزواجنا أن نصلي معك، ونحب الصلاة معك ، فقال رسول الله ﷺ : "صلاتكن في بيوتكن أفضل من صلاتكن في حجركن ، وصلاتكن في حجركن أفضل من صلاتكن في دوركن ، وصلاتكن في دوركن أفضل من صلاتكن في الجماعة " وفي سند الطبراني ابن لهيعة، وهو ضعيف إلا إذا روى عنه العبادلة" ابن المبارك وابن وهب" (وهذه الرواية ليست من طريقهما، فالسند ضعيف).

وأخرج البيهقي في الكبرى (133/3) بنحو هذا الحديث وقال: قال أبو زكري: سألت أبا بكر عن عبد المؤمن هذا أين سمع منه؟ قال: بودّان وبها يومئذ عبد المؤمن"، ولم أجد من ترجم له، وهو عندي مجهول، مسند الحديث ضعيف ، فهذه الأحاديث عن أم حميد ليس إسنادها بذاك، لكن قد تتحسن بمجموعها، ولعل الألباني حسن الحديث من هذا الباب.

وأخرج الحاكم في مستدركه (209/1) عن أم سلمة زوج النبي ﷺ " خير مساجد النساء قعر ببيوتهن" (سكت عنه الحاكم، وتبعه الذهبي في التلخيص وفي سنده دراج أبي السمع، ضعيف، قال الذهبي في الميزان(ت2670): قال أحمد: أحاديثه مناكير وليّنة، وقال النسائي: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف، وساق ابن عدي له أحاديث، وقال: عامتها لا يتابع عليها.

بل إن إخراج الحاكم للحديث في الشواهد هو بحد ذاته إشارة لضعف الحديث).

وللطبراني في الكبير (313/23)بنفس المتن، وهذا في سنده ابن لهيعة وفيه كلام معروف، وشيخه دراج ضعيف كما بينا.

وأخرج الحاكم (209/1) عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله ﷺ :" لا تمنعوا إماء الله المساجد وبيوتهن خير لهن" قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجا فيه الزيادة "وبيوتهن خير لهن"، وقد احتجا بالعوام بن حوشب، وقد صح سماع حبيب من ابن عمر.

قلت: نعم لقد صح سماع حبيب من ابن عمر، وابن حبيب ثقة لكنه كثير الإرسال والتدليس كما قاله ابن حجر في التقريب(1134)، وقد عنعن، فالإسناد منقطع، ولهذا – والله أعلم – أخرج الحاكم الحديث شاهداً لحديث أم سلمة السابق.

على أية حال، فإن هذه الأحاديث رغم ما فيها من قصور في السند، إلا أنها تشهد لبعضها بعضاً، فتتحسن، لكنها لا تقاوم الأحاديث الصحيحة التي نهت الرجال عن منع نسائهم من المساجد وشهود الجماعات، بل إن ابن حزم يرى أنه لا يحل لولي المرأة أن يمنعها من المسجد إذا عرف أنها تريد الصلاة. وقد وردت أحاديث صحيحة صريحة في ذلك، حتى إنه ﷺ أمر ذوات الخدور والحيض أن يشهدن جماعة المسلمين، ومن لم يكن لديها جلباب فلتستعر من غيرها جلباباً ، فلو كانت صلاتهن في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المسجد لما تركهن ﷺ يتعنّين بتعب لا يجدي عليهن زيادة فضل، أو يحطهن من الفضل، فإن هذا ليس نصحاً وهو القائل" الدين النصيحة"، وقد اتفق جميع أهل الأرض أن رسول الله ﷺ لم يمنع النساء قط الصلاة في مسجده إلى أن مات ، ولا الخلفاء الراشدون من بعده، فصحّ أنه غير منسوخ، كما قال ابن حزم.

أقول: وهذا هو الصواب، فقد أخرج أبو داود(462) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:" لو تركنا هذا الباب للنساء" قال : فلم يدخل منه عمر حتى مات، هذا الحديث يدل دلالة واضحة على اهتمام رسول الله ﷺ بالنساء وصلاتهن في مسجده، بل إن عمر بن الخطاب حينما وسّع مسجد رسول الله ﷺ سنة 17 هـ، فتح باباً خاصاً للنساء ، بقي اسمه " باب النساء" إلى أمد بعيد ، وكان ذلك الباب في الجهة الشرقية، جهة البقيع، مقابل باب الرحمة الغربي، وشمال باب جبريل بقليل، حسب ما جاء في كتاب" بيوت الصحابة حول المسجد النبوي"، وكان الرسول ﷺ عندما بنى المسجد قد فتح له أبواباً ثلاثة، كما جاء في كتاب" المسجد النبوي عبر التاريخ".

ولم يكن أحد من الصحابة ليخالف أمر رسول الله ﷺ فيمنع زوجته من المسجد دون عذر بيّن.

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه (900) عن ابن عمر قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لِمَ تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال : يمنعه قول رسول الله ﷺ" لا تمنعوا إماء الله المساجد".

بل إن عمر بن الخطاب عندما روي ذات يوم حديث رسول الله ﷺ :" ائذنوا للنساء إلى المساجد بالليل" قال له ابن له: والله لا نأذن لهن فيتخذنه دغلاً، والله لا نأذن لهن، فسبه عمر سباً قبيحاً وغضب وقال: أقول قال رسول الله ﷺ ائذنوا لهن وتقول لا نأذن لهن". هذه رواية عبد البر في التمهيد (236/10).وفي روايات أخرى أن عمر ضربه في صدره، وزاد في أخرى قال: فما كلمه حتى مات.

وروى الزهري أن عاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب، كانت تشهد الصلاة في المسجد، وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أني ما أحب هذا، فقالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني، قال عمر: فإني لا أنهاك، فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفي المسجد.

وها هي أم الفضل تخبرنا عن آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ، فيما رواه البخاري(4429) عنها قالت: سمعت النبي ﷺيقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا ، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله.

وهذا دليل على أنها كانت تشهد صلاة الجماعة بصورة دائمة، فإنها تبين أن الرسول ﷺ بعد ما صلى المغرب ذلك اليوم، لم يصل بهم جماعة بعدها حتى مات.

بل كن يتأخرن في المسجد بعد صلاة العشاء، للتطوع أو لسماع القرآن، فقد أخرج الحاكم في المستدرك (446/3) عن عائشة قالت:" أبطأت على عهد رسول الله ﷺليلة بعد العشاء ، ثم جئت فقال : أين كنت ، قلت : كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إلي ، فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا " (والحديث أخرجه ابن ماجه(1338) وإسناده صحيح).

ويفهم من الحديث أن رسول الله ﷺ صلى بالناس العشاء وقفل عائداً إلى بيته، فلم يجد عائشة التي تأخرت بعد الصلاة، وكان من المفترض أن تعود بعد العشاء مباشرة، وسؤال النبي ﷺ لها "أين كنت" أي بعد صلاة العشاء، إذ إنه يعلم أنها صلت معه في المسجد.

وأخرج أبو داود (1100) بسند صحيح عن بنت الحرث بن النعمان قالت :" ما حفظت سورة "ق" إلا من رسول الله ﷺ وهو يخطب بها يوم الجمعة " قال في عون المعبود(316/2): قال الطيبي: قولها : يخطب بها كل جمعة، أن المراد أول السورة لا جميعها، وقيل إنه كان يقرأ في كل جمعة بعضها.

وهذا دليل على شهود الصحابيات صلاة الجمعة، وحرصهن على الأجر والفضل الذي يكون في الجمعة والجماعة ، وهن يعلمن أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين أو خمس وعشرين درجة، وهذا بالطبع عام للرجال والنساء، وليس خاصاً بالرجال وحدهم، إذ لا فرق في التكاليف الشرعية ولا في الأجر بين الذكر والأنثى قال تعالى:" أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى" (آل عمران : 195).

أقول: إن مسجد رسول الله ﷺ بني في مبدأ هجرته عليه السلام، وبقيت النساء تصلي خلف رسول الله ﷺ حتى وفاته، ولم ينقل عنه ﷺ أنه منعهن الصلاة، بل ما ثبت عنه خلاف ذلك كما رأيت وبحسبة بسيطة نعرف أن النساء صلين خلف رسول الله ﷺ في المسجد ما يقرب من ثماني عشرة ألف صلاة، فقد توفي ﷺ في بداية السنة الحادية عشرة للهجرة، أي أن النساء صلين عشرة سنوات خلف النبي ﷺ، فما منعهن أحد، وصلين بعدها زمن الخلفاء الراشدين فما منعهن أحد .

لكن ينبغي للمرأة أن تعرف، أنها إذا ذهبت إلى المسجد، فإنها ذاهبة لأداء عبادة، وعليها أن تلتزم آداب الخروج، وما ينسجم مع كونها مسلمة مؤمنة خرجت للصلاة، فلا تخرج متعطرة ولا رافلة في الزينة، بل متحشمة في غير تبرج، وأن لا يكون خروجها على حساب حق بيتها وزوجها وأولادها، وأن لا تهمل أسرتها، فإن الإسلام لم يؤكد سنة الجماعة في حقها، لما رأى من طبيعة حياة المرأة وارتباطها بالبيت والأولاد، وما ينشأ من تكرار خروجها خمس مرات في اليوم من قصور في حق البيت.

وينبغي للمرأة أن لا تزاحم الرجال في الطريق أو على أبواب المسجد، نفهم هذا من تخصيص الرسول ﷺ باباً لدخول النساء، كما مر آنفاً، وينبغي لها أن تتجنب كل ما شأنه أن يجعلها تقترب من الرجال وتخالطهم، ونفهم هذا من قول الرسول ﷺ: "خير صفوف النساء آخرها..".

باختصار ؛ على المرأة وقد سمح لها الإسلام أن تخرج للمسجد، أن لا ينشأ عن هذا الخروج ما يعكر صفو العبادة، وصفو العلاقة الأسرية.

والله تعالى أعلم

زاوية الفتاوى

قال تعالى :

(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

صدق الله العظيم

لسماحة الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / خطيب المسجد الأقصى المبارك

السؤال الأول : على من تجب فريضة الحج ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

تجب فريضة الحج على المسلم البالغ العاقل الحر المستطيع ماليا وبدنيا لقوله تعالى : { وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران : 97) . والاستطاعة المالية أن يملك المسلم أجرة سفره وزاده وما يقضي ديونه ، ونفقة عياله إلى أن يعود . أما الاستطاعة البدنية فهي أن يكون المسلم سليم البدن خالياً من الأمراض والآفات التي تمنعه من القيام بأعمال الحج.

وبالنسبة للمرأة فيشترط وجود زوج أو محرم يرافقها لأداء فريضة الحج ، لعموم قول رسول صلى الله عليه وسلم : " لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلاثِ لَيَالٍ إِلا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ " (رواه مسلم) . وفي رواية مسيرة يوم وليلة .

والمحرم : هو من تحرم عليه المرأة حرمة مؤبدة ، سواء بالنسب أم الرضاع أم المصاهرة ، كجدها وأبيها وابنها وأخيها وابن أختها وعمها وخالها .

***

السؤال الثاني : هل يجوز الحج عن الآخرين ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

نعم يجوز للإنسان أن يحج عن غيره ، شريطة أن يكون قد أدى الفريضة عن نفسه أولاً ، لما ورد في الحديث الشريف " أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ . قالَ : مَنْ شُبْرُمَةَ ؟ قالَ : أَخٌ لِي أَوْ قَرِيبٌ لِي . قالَ : حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ ؟ قالَ : لا . قالَ : حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ " (رواه ابو داود في سننه) .

السؤال الثالث : ما الواجب على من ارتكب محظورا من محظورات الإحرام ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

تجب الفدية على من ارتكب شيئاً من محظورات الإحرام ، كقص الشعر، أو تقليم الأظافر ، وهي ذبح شاة ، توزع على فقراء الحرم ، أو صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين . لقوله تعالى :{ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ}(البقرة :196) .

السؤال الرابع : هل يجوز للحاج أن يوكل غيره في رمي الجمار ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فيجوز لأصحاب الأعذار كالمرضى وكبار السن والنساء والحوامل أن يوكلوا من يرمي عنهم الجمرات كلها ، وليس لهم أن يوكلوا غيرهم في المناسك الأخرى ، ويرمي الوكيل عن نفسه أولا ، ثم يرمي عن موكله .

السؤال الخامس : ما حكم طواف الوداع ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فطواف الوداع واجب ، ويجب بتركه دم . لقول النبي صلى الله عليه وسلم " مَنْ حَجَّ أَوْ اعْتَمَرَ فَلْيَكُنْ آخِرَ عَهْدِهِ الطَّوافُ بِالبَيْتِ " (رواه احمد في مسنده) . إلا أن طواف الوداع يسقط عن الحائض والنفساء ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالبَيْتِ إِلا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنْ المَرْأَةِ الحَائِضِ " (رواه مسلم) .

السؤال السادس : ما الهدي ؟ وأين يذبح ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فالهدي : هو ما يهدى من النعم للحرم المكي الشريف ، ويكون من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، وشروطه شروط الأضحية ، ويذبح بعد صلاة العيد ، ويستمر وقته حتى غروب شمس اليوم الثالث من أيام التشريق ، ويجوز الذبح ليلا ونهارا، ويكون في منطقة الحرم ، ويسن ذبحه في منى ، وإلا فبمكة .

ويجوز لصاحب الهدي أن يأكل منه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسن توزيعه كالأضحية على ثلاثة أقسام : قسم للفقراء ، وقسم للأصدقاء ، وقسم يأكله صاحب الهدي ومن معه .

السؤال السابع : ما الأفعال التي يقوم بها الحاج يوم النحر ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فالأفضل للحاج أن يأتي بالأفعال يوم النحر مرتبة على الوجه الآتي ، يبدأ بالرمي ، وهو أن يرمي جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات ، ثم ينحر ، ثم يحلق أو يقصر ، ثم يطوف بالبيت

طواف الإفاضة ، ويسعى بعده ، فإن قدم بعض هذه الأفعال على بعض فجائز ، لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم " فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ افْعَلْ وَلَا حَرَجَ " (رواه احمد) .

السؤال الثامن : ما حكم زيارة المسجد النبوي الشريف ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزيارة قبره الشريف والسلام عليه ، من أرفع السنن ، فهو من المساجد التي تشد اليها الرحال ، لقوله صلى الله عليه وسلم " لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مَسَاجِدَ ، المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى " (متفق عليه) .ويتضاعف ثواب الصلاة فيه لقوله عليه الصلاة والسلام " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ " (متفق عليه) .

ومن آداب السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم . أن تقف خاشعا غاض الطرف في هيبة ووقار ، وان تقول وأنت خافض الصوت : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله، يا خيرة الله من خلقه ، يا أكرم الخلق على ربه ، يا إمام المتقين ، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وأنك جاهدت في سبيل الله حق جهاده ، والصلاة والسلام عليك يا نبي الله ، يا من أرسلك الله رحمة للعالمين .

ثم تسلم على خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم تدعو لك وللمسلمين .

حب الوطن ومسئولية المواطنة في الإسلام

إعـــــداد / د. حسن السلوادي / عميد البحث العلمي والدراسات العليا
جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

جاء الإسلام مؤيدا ما تقتضيه الفطرة البشرية، وبنى أحكامه على وفقها، بل إنه أطلق على بعض هذه الأحكام (**سنن الفطرة**) كما ورد في الحديث المشهور [1]، والفطرة – كما هو معروف هي الخلقة أو النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق. وفطرة الإنسان هي ما فطر عليه، أي خلق عليه ظاهراً وباطناً ، أو جسداً وعقلاً، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية، ومحاولة أن يتناول بعض الأشياء برجليه ، أو يمشي على يديه مخالف للفطرة، واستنتاج المسببات من أسبابها ، والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، أما استنتاج الشيء من غير سببه ، فهو خلاف الفطرة العقلية [2].

وحب الوطن أو ما يطلق عليه حديثا مصطلح الوطنية هو مما فطر عليه البشر، فالإنسان ينزع بغريزته الى المنشأ الذي تربى فيه، والى المرابع التي غذته وليداً ، ودرج على ثراها صغيراً. ويعرّف الوطن بأنه محل الإقامة مطلقاً ، ومنزل الكائن حيث يولد ، وينشأ ويتربى تربية نفسية ، وعاطفية ، وفكرية ، واجتماعية. والوطن عند أهل السياسة هو المكان الذي ينسب إليه الإنسان، ويحفظ حقه فيه. ويعلم حقه عليه، ويأمن فيه على نفسه وآله وماله[3].

والوطن بما يقترن به من دلالات نفسية واجتماعية هو الجزء الأهم في كينونة الإنسان وحيويته وتميزه، وحبه مغروس في نفسه بالفطرة والغريزة الإنسانية ، وفي هذا يقول الجاحظ: "**فطرة الرجل معجونة بحب الوطن**" [4]. ويقول أيضا: إذا كان الطائر يحن إلى أوكاره، فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه" [5]، وذهب الجاحظ في رسالته عن الحنين إلى الأوطان إلى حد القول: إن الإنسان إنما يشفى بهواء بلده وعقاقير أرضه لأن الطبيعة تتطلع لهوائها ، وتنزع إلى غذائها" [6]. ويبدو أن الجاحظ متأثر بما قاله الرسول ـ ﷺ ـ في هذا الصدد "**باسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفي سقيمنا**" [7].

ويدعم الجاحظ مقولته بما كان العرب في الجاهلية يفعلونه في غزواتهم وأسفارهم فيقول: " **إن العرب كانت إذا غزت وسافرت ، حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا ، تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع**" [8]. مما يبرز معه مدى التأثير النفسي للارتباط بالأوطان في علاج الانسان من أدوائه وعلله، وقد صار هذا الاعتقاد فيما بعد جزءا من حكمة الطب القديم، وقد عبر ناصر الدين البيضاوي عن ذلك بقوله : "**قد شهدت المباحث الطبية على أن تراب الوخن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر**" [9].

ولا شك في أن هذه الأقوال وغيرها تشير إلى مدى تعلق الانسان بوطنه ومحبته له، وأن هذا الحب ينسجم الى حد بعيد مع الفطرة التي فطر عليها، وينطلق كذلك من مفهوم الاسلام نفسه الذي صدرت تعاليمه متناغمة مع هذه الفطرة وجوهرها، فالرسول الكريم وهو المقياس في سلامة الفطرة ونقائها عبر في كثير من أحاديثه الشريفة عن هذه النزعة، وندت عنه عبارات تظهر محبته وتعلقه بوطنه، ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ عن مكة المكرمة بعدما غادرها مكرهاً: "**ما أطيبك من بلدة ، وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**" [10] ومنها ما يروى أنه حين غادرها وقف على مشارفها وبكى بكاء شديداً بعدما ظهر له أن لن يعود إليها، فجاءه جبريل عليه السلام وهون عليه الأمر، وتلا عليه قوله تعالى: "إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" [11]. وأخرج البخاري عن أنس قال: كان رسول الله –

ﷺ ـ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته، وإن كانت دابة حركها من حبها،[12] ويروى عنه ـ ﷺ ـ قوله في جبل أحد: " **هذا جبل يحبنا ونحبه**" [13].

ووردت في القرآن الكريم آيات كريمة تعلي من شأن الوطن وتنوه بقيمته ، فقد قرن القرآن في واحدة من هذه الآيات بين النفس والوطن ، فقال تعالى " وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ " [14]، وسوّى القرآن الكريم في آية أخرى بين النفي عن الوطن والقتل ، حيث يقول تعالى: " إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ " [15]. وعلق البيهقي على هذه الآية قائلاً "**إن الله جعل الجلاء عن الوطن بمرتبة القتل**" [16] وفي ذلك إشارة دالة على مدى تعلق الناس بأوطانهم، فالنفي والإبعاد عن الوطن من أشد العقوبات قسوة، ولهذا عدتها المواثيق المتعلقة بحقوق الإنسان من الجرائم والانتهاكات الخطيرة التي ترتكب بحق المواطنين، ولا سبيل الى علاجها إلاّ بعودة المنفيين والمهجرين الى أوطانهم وديارهم، وهي من الحقوق الطبيعية التي لا نقاش فيها ولا مساومة.

وهكذا تتضافر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على أن الوطنية الصادقة إنما تنبع من سلامة الفطرة وحسن الطوية، وقد عرف من سلوك الرسل وصحابتهم وهم أكمل رجال زمانهم وأنقاهم فطرة ، أنهم كانوا أكثر الناس حباً لأوطانهم وتعلقاً بها. كما توحي أقوالهم وتصرفاتهم أن حب الوطن من أفضل الخصال وأحد أوصاف أهل الكمال، وبه تقاس منازل الناس وأقدارهم، فقد ورد عن علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه – قوله: " من كرم المرء حنينه الى وطنه" [17]. وأخرج الدّينوري عن الأصمعي قال: "**إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه الى أوطانه، وتشوقه الى إخوانه**" [18].

وجعل بعضهم حب الأوطان من شروط عمارتها ونهضتها، فقد أثر عن علي بن أبي طالب قوله : "**عمرت البلدان بحب الأوخان وحب الوطن من الإيمان**" [19] وورد في مأثور القول "**لولا حب الوطن لخرب بلد السوء**" [20]. بمعنى أن الوطنية تحمل الناس على الصمود حتى في الأوطان القاحلة وقليلة الموارد، وتدفعهم الى تعميرها رغم ما يلقونه في سبيل ذلك من عنت ومشقة، ويدعم ذلك ما أورده الجاحظ على لسان بعض الأعراب ، فقد سئل أحدهم : **ما الغبطة**.؟ فقال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان ، فقيل له: وما الذلة ؟! فقال: التنقل في البلدان ، والتنحي عن الأوطان" [21] ، وقديما قيل : لا تجف أرضا فيها قوابلك ، ولا تشك بلداً فيها قبائلك ، فإن حب الوطن عرفان بجميله ورعاية لعهده وقد روي عن الرسول - ﷺ - "**أن حسن العهد من الإيمان**" [22].

ومن المؤكد أن الانتماء للوطن، ورعاية عهده يتناقض كليا مع أي مظهر من مظاهر التطرف والتعصب مهما كان لونه ودوافعه؛ لأن التعصب سواء أكان دينيا أم مذهبياً أم قومياً أم عرقياً، هو في حقيقته سلوك بدائي يتعارض مع القيم الدينية والشرائع السماوية، ويتعارض كذلك مع شروط المواطنة الحقيقية التي هي صفة للمواطن الذي يتمتع بالحقوق والواجبات التي يفرضها القانون والدستور والتعايش المشترك القائم على مبدأ التسامح والتعاون بين أبناء الوطن ، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية وعقائدهم وأعراقهم.

ومن هنا تتأسس المواطنة الحقيقية على مجموعة من القواعد والمرتكزات أهمها: العدل والإخاء في إطار سيادة القانون، والحرية الواعية المنضبطة التي تمارس بشكل ديموقراطي انطلاقا من الشعار القائل: "**لا وطن إلا مع الحرية ، ولا وطن في ظل الاستبداد**"، فالاستبداد يقتل كرامة الإنسان في حين أن المواطنة – في حقيقتها - قيمة أخلاقية وإنسانية راقية ، وهي حوار موضوعي يؤدي الى تعزيز الوحدة الوطنية، ويحول دون تحجيم فئة أو شريحة من أبناء المجتمع، مهما كان حجمها أو إقصائها وتهميشها، وإلغاء حقها في المشاركة الفاعلة في بناء الوطن والإسهام في الجهود الرامية لنهضته وتقدمه ، وتنفيذ مخططاته التنموية. وهي فضلا عن ذلك

حالة وطنية وقومية تقود بالدرجة الأولى الى وحدة أبناء المجتمع وانسجامهم، وتؤدي بالتالي الى وحدة الأمة وتكاتفها واجتماعها على هدف واحد ، وغاية محددة تحفزهم، وتنمي فيهم الدافعية للمشاركة الايجابية الفاعلة في بناء الحضارة الإنسانية والتقدم البشري. وقد أجمل أحد الباحثين المرتكزات والدعائم التي تستند إليها المواطنة في عبارة موجزة جاء فيها: "وجدير بالتأكيد أن الجوانب المدنية والقانونية والسياسية من حقوق المواطنة وواجباتها ليست كافية للتعبير عن مراعاة مبدأ المواطنة ، هذا بالرغم من كونها أبعاداً لازمة ، فإلى جانب ذلك هناك أيضا الحقوق الاجتماعية والاقتصادية ، التي لا يمكن ممارسة مبدأ المواطنة على أرض الواقع دون تقرير الحد الأدنى من هذه الحقوق والضمانات ، حتى يكون للمواطنة معنى، ويتحقق بموجبها انتماؤه وولاؤه لوطنه ، وتفاعله الايجابي مع مواطنيه.

وعندما يتحقق انتماء المواطن لوطنه ، وبالتالي ولاؤه في دولة ما تنتقل المواطنة من كونها مجرد توافق ، أو ترتيب سياسي تعكسه نصوص قانونية ، لتصبح قيمة اجتماعية ، وممارسة سلوكية يعبر أداؤها من طرف المواطنين عن نضج ثقافي ، وإدراك حقيقي لفضيلة معاملة جميع المواطنين على قدم المساواة ، دون تمييز بينهم بسبب الدين ، أو المذهب ، أو العرق ، أو الجنس [23].

وفي إطار هذا الفهم الحضاري لمصطلح المواطنة تتحدد حقوق المواطن وواجباته تجاه وطنه التي ينبغي أن ترتبط بالحالة الانسانية والأخلاقية ، التي تضمنتها الشريعة الإسلامية وكفلتها مواثيق الأمم المتحدة والمنظمات الراعية لحقوق الانسان. وأما حقوقه فيمكن إيجازها في النقاط الآتية:

1- المساواة والعدالة بينه وبين سائر أبناء الوطن في كل مجالات الحياة ، كالتعليم والعلاج وفرص العمل، ولا بد أن ينتفي الشعور بأن هناك تميزا وطبقية بسبب الجنس ، أو الدين أو اللون أو اللغة.

2- التمتع بالأمن والأمان في ظل سيادة القانون. والسلطة السياسية الحاكمة مطالبة بتحقيق هذا الشعور لدى مواطنيها؛ لأن فقدانه يضعف الرابطة التي تشدّ الإنسان الى وطنه،

ويوهنها، بل ربما تدفعه الى الهجرة والاستقرار في بلد آخر ، ينعم فيه بالأمن والاستقرار والطمأنينة ، وهو ما عبر عنه علي بن أبي طالب حين قال: "**الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة**".

3- أن يشعر المواطن في الدولة أنه عنصر فاعل ، له قيمته ، وله أهميته ومكانته مهما كان نوع عمله ، ومهما كان مستواه العلمي والاجتماعي والاقتصادي ، فمجرد انتمائه للوطن وحبه له واستعداده للتضحية في سبيله يحتم على الدولة أن ترعاه وتعنى به وتحافظ عليه. واذا كنا نردد في أمثالنا التي نحفظها " **أن حب الوطن من الإيمان**" [24]، فإن الايمان كما يقول أهل العقائد يزيد وينقص، فهو يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وهكذا حب الوطن يزيد بقدر ما يشعر المرء أن الوطن يعطيه حقوقه، ويحترم إنسانيته، ويصون كرامته ، ويدافع عنه، ويحميه إذا ما أصابته نائبة ، أو ألمت به كارثة، وينقص عندما يشعر المواطن ان وطنه ينكر عليه حقه، ويتجاهله ويضعه مكرهاً في خانة العزل والتهميش التي تضاعف من إحساسه بالعزلة والضياع والامتهان.

4- تأمين فرص العمل والعيش الكريم للمواطنين ، دون تمييز أو محاباة ، مع مراعاة الكفاءة والخبرة والمستوى العلمي في شغل الوظائف العامة ، بعيداً عن نهج الوساطة والمحسوبية واعتبارات الولاء أو القرابة التي تمنح الوظائف لمن لا يستحقها، وتحيل سواهم الى فئات تتغلغل في نفوسها مشاعر الحقد والذل والحرمان والاحباط، وقد تتحول بضغط من حاجتها وعوزها الى ارتكاب الجرائم والمحرمات التي تهدد أمن المجتمع وسلامته، وتعرض وحدته ونسيجه الاجتماعي للتفسخ والانحلال ، ليصبح ساحة مكشوفة للصراعات الداخلية التي تنخر جسده، وتعبث بأمنه واستقراره ومستقبل أبنائه.

أما الواجبات التي ينبغي على أبناء الوطن أن ينهضوا بها ويؤدوها حيال وطنهم فكثيرة ومتشعبة، وهي تتعلق بكل ما يعمل على تنمية الوطن وإعماره ، والدفاع عنه في وجه الطامعين،

في خيراته ومقدراته، وقد ورد في نصوص متفرقة ما يمكن عده واجبات ومسئوليات تدعم حال قيام المواطنين بها مقومات الوطنية وأركانها **وتثبت قيمتها في النفوس ومن ذلك**:

1. الحفاظ على الوطن والتخلق بأخلاق المواطنة الصالحة، ونشر الخير والصلاح في الوطن، والتمسك بثوابته وتأدية واجباته على أحسن وجه ، لأن حب الوطن أو الوطنية يدفع المواطنين الى الغيرة عليه، ودفع الضرر عنه ، والذود عن حرمته، والسعي لجلب كل ما يعود بالنفع عليه، ويسهم في ترسيخ مكانته، وإعلاء شأنه بين سائر الأمم.
2. الدفاع عنه، والذود عن أرضه وحرماته في وجه الغزاة الطامعين، وقد جعل القرآن الكريم الحرمان من الوطن مبرراً من مبررات الدفاع عنه والقتال دونه، فقال على لسان قوم حرموا من وطنهم : (وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا) [25]. وجعل الشرع الموت في سبيل الوطن شهادة ، فقال رسول الله ﷺ : من قتل دون أرضه فهو شهيد" [26] وقد بنى الفقهاء على ذلك وجوب القتال عند تعرض الوطن للغزو والاحتلال، ولذلك قال الإمام علي بن أبي طالب " ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا" [27]. وفي هذه الحالة يصبح الجهاد فرض عين ، ولا يستأذن فيه أحد، حتى الوالدين ، يقول ابن ابي زيد القيرواني: " **ولا يغزى بغير إذن الأبوين إلا أن يفجأ العدو مدينة قوم، ويغيرون عليهم، ففرض عليهم دفعهم، ولا يستأذن الأبوان في مثل هذا** " [28].
3. احترام القانون والنظام العام ، وتربية الأبناء منذ الصغر على احترامهما والعمل بموجبهما حتى يشعر كل مخالف ومنحرف عن النهج القويم بأنه منبوذ ، وأن سلوكه مستهجن، وغير حضاري لما يلحقه من ضرر على المصالح الوطنية العليا.
4. إشاعة ثقافة التعاون والائتلاف بين أبناء الوطن على اختلاف نزعاتهم وأهوائهم وتوجهاتهم الفكرية والعقدية والعمل بها من أجل المصلحة العامة واستقرار الوطن وهي ما اصطلح عليه حديثا باسم **السلم الأهلي** الذي أرسى الرسول ﷺ قاعدته الأولى فيما

عرف بوثيقة المدينة التي وضحت بجلاء العلاقة التي تربط بين المسلمين وغيرهم من أبناء الوطن ، وأسستها على قاعدة العدل " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ " [29].

والتعاون والائتلاف بين العناصر المكونة للوطن ، سبيلها الحوار الايجابي المستند الى الاحترام المتبادل ، ولن يتحقق ذلك إلا بترسيخ مفهوم المثاقفة بين أبناء الوطن أولاً وفيما بينهم وبين الآخر المغاير ثانيا " وأي خلاف ينشأ بين الأطراف السياسية والفكرية ينبغي أن يزول على طاولة الحوار الوطني، وتحريم أي عنف أو اقتتال من أي نوع كان، فالحوار بالسيف والبندقية لا يعني الا قتل المواطنة الشريفة ومن ثم فالمواطنة لا تبنى بالإقصاء والإلغاء ، وتهميش الآخر . واستعباده ، بل باحترامه وتبادل الرأي معه مهما كان حجم الاختلاف ، فكل رأي قابل للنقاش ما دام الجميع قد تآلفوا في الوطن الواحد، واتفقوا عليه في مواجهة الأعداء الذين يستهدفونهم جميعا دون تمييز ، ولهذا ينبغي ان تظل المنافسة بين التيارات السياسية والفكرية حرة نزيهة ، وان تسير في طريق الحوار الموضوعي المتسامح والمسئول [30].

وبناء على ما تقدم نرى أن الشريعة الإسلامية وما عرض من تجلياتها لدى كثير من المفكرين المسلمين ، تتناغم في أطروحاتها حول الوطن والوطنية ومسئوليات المواطنة في المجتمع الإسلامي مع الفطرة الإنسانية ، وترى ان الحب الذي يكنه المواطن لوطنه لا يكتمل ولن يؤتي ثماره دون ترسيخ مفهوم الانتماء الأصيل للوطن الذي يكرس الوحدة والتآلف بين أبنائه، ويعالج بالعمل الجاد والدؤوب أي مظهر للفساد أو الاقتتال ، ويحاول اقتلاعهما من الذات الفردية والجماعية ، وهنا يقع على عاتق المثقفين والأدباء والكتاب والمفكرين والقادة السياسيين المتنورين والأحزاب والتيارات الفكرية ومؤسسات الإعلام مهمة كبرى وعالية في إعادة الوعي بالمواطنة وتجسيدها واقعا حيا في المجتمع وفق مبدأ العدل والمساواة، وإشاعة الحرية وكرامة الإنسان من أجل بناء نهضتنا الوطنية والقومية على أسس ديمقراطية سليمة وموضوعية.

الهوامش

1. رواه الجماعة، ويعرف بعض الباحثين الفطرة بأنها الخلقة السوية والهيئة الحسنة التي خلق الله تعالى عليها الانسان، وهي الاستقامة الأصلية التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة الروم (الآية:29) "فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" ، وتندرج في إطار هذه السنن مجموعة من الخصال التي تتعلق بالنظافة والتجمل وحسن الهيأة ، كالختان وقص الشارب ونتف الإبط وتعليم الأظافر والسواك وغيرها ، كحب الوطن والتعلق بالمكان الذي نشأ فيه الإنسان وترعرع، والذي يعد من مقومات الفطرة الإنسانية ومرتكزاتها.
2. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (عمان: دار النفائس، ط2004) ص: 262.
3. يبدو من التعريفين السابقين ومن غيرهما أن هناك مجموعة من المعاني التي تجتمع لتكوين فكرة الوطن وأهمها: الأرض، والإنسان، والجماعة، واستمرارية العلاقة الوجدانية بين الفرد والأرض، وشعور الفرد بالحب والحنين للأرض التي نشآ عليها. انظر، عمرو عادل ، الوطن والدولة ، منشور على الموقع الإلكتروني لحزب الوسط الجديد www.alwasatparty.com، وانظر، تعريفات أخرى للوطن في ابن منظور، لسان العرب، مادة وطن، الجرجاني، التعريفات، ص:253 د.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 580، د. أحمد زكي بدوي، المصطلحات السياسية الدولية ص: 93. أ.د. حسن جمعة، الوطن والمواطنة ، مجلة الفكر السياسي ، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد:25، السنة الثانية،2006، ص: 3-5
4. الجاحظ، رسائل الجاحظ (رسالة في الحنين إلى الأوطان)، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ة) ، 387:2.
5. المصدر نفسه، 391:2
6. المصدر نفسه، 387:2
7. رواه البخاري ومسلم عن السيدة عائشة.
8. الجاحظ، رسالة في الحنين الى الأوطان، مصدر سابق، 392:2.
9. الجاحظ، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، شرح صحيح البخاري (القاهرة: المطبعة السلفية، ط 2 1406هـ) ، 219:10.
10. رواه الترمذي، 723:5 ، والطبراني، 207:10
11. القصاص، الآية 85
12. أوضع: أسرع السير شوقاً إليها، ابن حجر، فتح الباري 726:3
13. رواه البخاري، 1498:4
14. النساء، الآية 66

15. المائدة، الآية 33
16. البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، القاهرة (دار الكتب العلمية، ط 2 1410هـ)، 236:2
17. نقلاً عن صالح عاشور، الوطن والمواطن والسلطة، الموقع الإلكتروني www.ebaa.net
18. الدينوري المالكي، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق مشهور حسن (القاهرة: دار ابن حزم ط 1 ، 1998) ،2: 208-207
19. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1403 هـ) ج 75 ص:5
20. أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، (الدار العربية للكتاب 1983) ، ص : 298
21. رسائل الجاحظ، بتحقيق عبد الأمير مهنا (طبعة دار الحداثة ، بيروت 1988) 257:2
22. المصدر نفسه، 390:2
23. صالح عاشور ، الوطن والمواطنة والسلطة، مرجع سابق
24. ورد في بعض الأدبيات ان هذا القول منسوب إلى الرسول – ﷺ والحقيقة أن الحديث لم يثبت من حيث السند فهو من جملة الأحاديث الموضوعة وإن كان متنه صحيحا، وقد علق الحافظ السخاوي قائلاً: ان معناه صحيح" انظر الموقع الإلكتروني لوزارة الأوقاف المغربية www.haabous.gov.ma
25. البقرة ، الآية 246
26. رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجه عن سعيد بن زيد.
27. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي (بيروت: دار الأضواء، 1405هـ) كتاب فضل الجهاد ص:2
28. انظر، ابو الحسن المصري، كفاية الطالب الرباني ، شرح رسالة ابي زيد القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني 1963م، 2: 59-60
29. النحل، الآية 90
30. أ.د. حسن جمعة، الوطن والمواطنة، مرجع سابق، ص:10
31. المرجع نفسه ص: 13

مكانة القدس في الإسلام

بقلم: الشيخ فتحي الآغا / مدير دائرة العلاقات العامة / محافظات غزة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

الكتابة عن بيت المقدس تدمي القلوب وتتقطع لها الأحشاء وتكوى لها الأكباد كياً، لأنها كتابة عن سهم غائر في جسم المسلمين ينزف دماً تحت أعين حكامهم ومن يوصفون بأولي النخوة فيهم ، هذه البقعة المباركة من بلاد المسلمين هي أحق بعناية المسلمين ورعايتهم بعد الحرمين الشريفين، لأنها موضع المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وقبلة المسلمين الأولى، صلى نبينا محمد ﷺ شطرها وهي لا تزال تحت سيطرة الرومان، والمسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثاني مسجد أقيم على وجه الأرض ، بعد المسجد الحرام، ذلك ما ثبت بالأحاديث الصحيحة الصريحة، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، بنص الحديث الشريف ، والمسجد الأقصى موضع المعراج إلى السماوات، حيث وضع عليه السلام قدمه الشريفة، وصلى ركعتين. وقد أخبرنا ﷺ أن فتح بيت المقدس من أشراط الساعة، وأن الدجال لا يأتي المسجد الأقصى.

مسجدٌ هذه مزاياه أحق أن يجاهد من أجله المسلمون، وأن يبذلوا في سبيله النفس والنفيس حتى يخلصوه من نير الاحتلال ويد الغدر والعدوان، إن كل مسلم ولاه الله أمر

المسلمين وجعله على ثغرة من ثغورهم ، ولم يسع لتحرير بيت المقدس - ولو بالنية والعزم - وقدر استطاعته وأقصى جهده، إنما هو متقاعس عن إقامة مصالح الأمة، وخدمة قضاياها المصيرية.

تتضح مكانة بيت المقدس في الإسلام من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، على النحو الآتي:

قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(الإسراء:1).وقد أسري بالرسول ﷺ وعرج به إلى السماء قبل الهجرة النبوية بعام وبضعة أشهر ، سنة 621م ويقول عليه السلام :"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، ومسجد الأقصى" (صحيح البخاري).

يقول أبو ذر الغفاري: "قال : قلت : يا رسول الله ! أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال :المسجد الحرام، قلت : ثم أي؟ قال :المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال أربعون سنة . وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد "(رواه البخاري).

وعن أبي أمامة الباهلي : قال رسول ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء ، فهم كالإناء بين الأكلة ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال: ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس "(رواه مسلم).

بيت المقدس مسرى الرسول ﷺ ومعراجه وهو منزل مبارك تضاعف فيه الحسنات وتغفر فيه الذنوب.. ومن أهل بحج أو عمرة من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه ، وهو أرض المحشر والمنشر، وستنزل الخلافة بها، الرايات السود التي ستخرج من خراسان ستنصب ببيت المقدس، والطائفة المنصورة التي على الحق في آخر الزمان هي في بيت المقدس وأكناف بيت

المقدس لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم ، والدجال لا يرد المسجد الأقصى، ولا الحرمين ولا الطور ، وهو ملاذ المؤمنين حين خروج الدجال.

ولهذه القداسة وبناء على هذه المكانة، نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنه مزار شريف، ومنزل مبارك، وموضع مقدس كريم، فشدوا إليه الرحال، وأحرموا منه للحج والعمرة، وزاروه لذاته بغية الصلاة والثواب، وأحاطوه برعايتهم .

إحرام الصحابة فيه للحج والعمرة :

فقد أحرم الخليفة عمر بن الخطاب للحج والعمرة من المسجد الأقصى، كما أحرم منه سعيد بن العاص ـ أحد المبشرين بالجنة، وقدم سعد بن أبي وقاص ـ قائد جيش القادسية ـ إلى المسجد الأقصى فأحرم منه بعمرة، وكذلك فعل الصحابة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، ومحمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي.

أما الصحابة والفقهاء الذين زاروا بيت المقدس ، وبعضهم أقام فيه، فهم كثر، مما يدل على المكانة الدينية التي احتلها بيت المقدس في فكر المسلمين وحضارتهم، فمنهم أبو عبيدة ابن الجراح، وصفية بنت حيي زوج رسول الله ﷺ،ومعاذ بن جبل، وبلال بن رباح الذي لم يؤذن بعد وفاة الرسول إلا حين فتح بيت المقدس، وعبد الله بن عمر، وخالد بن الوليد، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء عويمر، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبو مسعود الأنصاري، وعمرو ابن العاص، وعبد الله بن سلام، وسعيد بن زيد، ومرة بن كعب، وشداد بن أوس، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعوف بن مالك، فهؤلاء من طبقة صحابة الرسولﷺ ، أما من التابعين والفقهاء : فمنهم مالك بن دينار، وأويس القرني، وكعب الأحبار، ورابعة العدوية، والإمام الأوزاعي، وسفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، ومقاتل بن سفيان، والليث بن سعد، والإمام الشافعي، وبشر الحافي، وذو النون المصري، والإمام الغزالي،والإمام أبو بكر العربي.

ومن الخلفاء الذين زاروا بيت المقدس: عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك الذي هم بالإقامة في بيت المقدس، واتخاذها عاصمة لدولته بدل دمشق، وأبو جعفر المنصور، والخليفة المهدي بن المنصور، وجمع من خلفاء الأيوبيين والمماليك والعثمانيين.

اعتاد بعض الخلفاء والملوك – منذ عصر المماليك ـ على كنس الصخرة وغسلها بماء الورد منهم الظاهر بيبرس، والملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري ، والملك الناصر محمد ابن قلاون، وأخوه السلطان حسن، والملك الظاهر برقوق، والملك الأشرف برسباي، والملك الأشرف قايتباي، والسلطان سليمان القانوني، والسلطان محمود الثاني، والسلطان عبد المجيد، والسلطان عبد العزيز، والسلطان عبد الحميد الثاني.

ينظر المسلمون منذ أربعة عشر قرنا إلى بيت المقدس ، على أنه مركز لتراث ديني كبير تجب حمايته، وهم يربطون ربطاً وثيقاً بين المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في القدس، وينظرون إلى بيت المقدس نظرة تقترب من نظرتهم إلى مكة .. فإليها تشد الرحال، وفيها تراث ديني ضارب في التاريخ ، ولما كان أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد وضع قواعد الكعبة في مكة، فإن جسده الشريف يرقد في الخليل ـ فيما يرى كثير من الرواة والمؤرخين - وحين يتجه المسلمون في صلاتهم إلى المسجد الحرام، فهم لا ينسون أن الرسول وصحابته قد اتجهوا إلى المسجد الأقصى أولى القبلتين .. وما يزال مسجد القبلتين شاهداً على الترابط الديني بين مكة وبيت المقدس ، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى.

وإذا ذكر المسلم بحسه الديني ووعيه التاريخي بيت المقدس، فإنه يذكر المكان الذي كلم الله فيه موسى، وتاب على داود وسليمان، وبشر زكريا بيحيى، وسخر لداود الجبال والطير، وأوصى إبراهيم وإسحاق أن يدفنا فيه، وفيه ولد عيسى، وتكلم في المهد، وأنزلت عليه المائدة ، ورفع إلى السماء، وماتت فيه مريم،هذا هو موقف المسلم من الأنبياء وتراثهم، ومن بيت المقدس، وهو موقف يقوم على التقدير والتقديس والشعور بالمسؤولية الدينية والتاريخية...

هذا الإجلال الإسلامي لبيت المقدس، وللأنبياء والأخيار الذين اتصلوا به ـ يناقضه موقف اليهود ـ فكل الأبرار أصابهم أذى اليهود، ولولا عناية الله بهم لما أدوا رسالتهم، ولولا تنزيه القرآن إياهم ودفاعه عنهم لوصل تاريخهم إلى البشرية مشوهاً بتأثير تحريف اليهود، ومن هذا المنطلق يحس المسلم بمسؤوليته الدينية تجاه بيت المقدس، باعتباره مركزاً لتراث النبوة.

لقد أثبت القرآن الكريم مكانة بيت المقدس، من خلال الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾

البركة في قوله " الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ " هي ما أنعم الله تعالى به على تلك البقاع من الثمار والزروع والأنهار، وما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية، حيث مهبط الأنبياء والمرسلين، ومسرى خاتم النبيين.

ومما يدل على مكانة بيت المقدس أنه أرض المحشر والمنشر، عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قالت:"قلت : يا رسول اللّه أفتنا عن بيت المقدس ؟ فقال رسول اللّه ﷺ: أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة ، قالت: أرأيت يا رسول اللّه من لم يطق أن يتحمل إليه أن يأتيه ؟ قال : فإن لم يطق ذلك فليهد إليه زيتا يسرج فيه ، فمن أهدى إليه كان كمن صلى فيه " (صحيح البخاري) ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:"من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس".

دفن عدد كبير من الصحابة والتابعين في بيت المقدس منهم الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس - رضي الله عنهما- فهو مهد النبوات والشرائع والرسل، وللمسجد الأقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا ، وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحي، ومنتهى الإسراء ، وبداية المعراج.

وفي الإسراء والمعراج فرض الله ﷻ الصلاة وهي الصلة القوية بين العبد وربه، وكانت القبلة آنذاك هي صخرة بيت المقدس، حيث أمر الرسول ﷺ باستقبالها، وكان يصلي بين الركنين، فتكون الكعبة بين يديه ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر الرسول ﷺ توجه شطر بيت المقدس، واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهراً، وكان يدعو ربه ، ويبتهل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة ، قبلة إبراهيم عليه السلام، فأجيب إلى ذلك، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام فخطب الناس وأعلمهم بذلك، فكانت أول صلاة، شطر المسجد الحرام صلاة العصر،"قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ " (البقرة : 144).

تؤكد حادثة الإسراء عاطفة المسلمين نحو المسجد الأقصى كواحد من أهم معالم الإسلام، ذلك أن الرسول عليه السلام دخل المسجد الأقصى وصلى إماماً بالأنبياء جميعاً، ولقد أطلع الله ﷻ رسوله ﷺ على ثواب الطائعين وعقاب العاصين، ومما رآه من ثواب المجاهدين في سبيل الله:" **مر على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي ﷺ : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف**"

وفي هذا بيان لمكانة الجهاد والمجاهدين، وهو ما يدفعنا لتطهير بيت المقدس واسترداده، وقد شاء رب العالمين أن يكون الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ، وصلاً للحاضر بالماضي ، وتقديراً لمنزلة هذه البقعة المباركة ، كانت إمامة الرسول ﷺ للأنبياء والمرسلين في هذا المكان المقدس إعلاناً لختم رسالات السماء ، بالتشريع الخاتم ، والرسول الذي ختم الله ﷻ به الأنبياء والمرسلين، الإسراء والمعراج يضعان في أعناق المسلمين أمانة بيت المقدس لدرجة يتمنى المسلم أن يكون له موضع صغير يطل على المسجد الأقصى أو يراه منه، ويكون ذلك أحب إليه من الدنيا وما فيها.

يقول أبو ذر الغفاري ﷺ:" تذاكرنا ونحن عند رسول اللهﷺ أيما أفضل مسجد رسول اللّه ﷺ أو بيت المقدس ، فقال رسول اللّه ﷺ :صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ، ولنعم المصلى هو ، وليوشكن أن يكون قوسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا " (مجمع الزوائد).

وسؤال الصحابة رضوان اللّه عليهم عن المسجد الأقصى في هذا الحديث دليل الاهتمام ، ففي الحديث دلالة بالغة على مكانة المسجد في نفوس المسلمين، ومكانة المسجد الأقصى في الشرع الإسلامي ، وفي ثناء النبي ﷺ على المسجد الأقصى المبارك ، وأجر الصلاة في المسجد الأقصى ، دلالة واضحة على أن قضية الأقصى ستبقى حية في نفوس أبناء هذا الدين، مما يشير إلى عظم المسؤولية الموكلة للمرابطين بأرض الأقصى، وهناك لفتة مهمة يجدر التنبه إليها والمتضمنة في أنه قد يأتي زمان لا يستطيع أحد من المسلمين الإقامة أو الصلاة فيه.

وفي الختام إن تغيير القبلة الأولى لم يغير منزلتها الشرعية في الإسلام، وقضية بيت المقدس، والمسجد الأقصى، لا تنفصل أبداً عن قضية الإسلام الكبرى، وها نحن نلمس صدق ما أخبر به النبي ﷺ مما سيكون عليه المسجد الأقصى، والمتتبع والمعايش لأحواله يوقن صدق ذلك . أن بيت المقدس في خطر، ويوشك أن يضيع، والتفريط فيه ثلمة في دين المسلم، بل هو كفر بالنص القرآني وجحود بالأحاديث النبوية الشريفة التي تربط بيت المقدس بالمسجد الحرام رباطاً عقدياً ربانياً.

إننا أمام واجب عظيم ومسؤولية كبيرة ، وتحد رهيب، وعلينا أن نعقد العزم، ونخلص النية ونعد أنفسنا لتحرير بيت المقدس، فهو ملاذ المؤمنين على مر الزمن، وبرهان صدقهم في البذل والعطاء والجهاد والتضحية والفداء.

ذلكم جانب من مكانة بيت المقدس في الإسلام، وهو ما يفرض علينا جميعاً الذود عنه ، والجهاد لتحريره من براثن المفسدين في الأرض.

والحمد للّه رب العالمين

الوحدة الموضوعية في سورة الكهف

طارق مصطفى حميدة / مركز نون للدراسات القرآنية/ فلسطين

تحدث كثيرون عن الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم بعامة، ونال سورة الكهف حظ وافر من الاهتمام فيما كتبه صاحب الظلال والندوي والدكتور مصطفى مسلم ، وعبد الحميد طهماز، وربما غيرهم أيضاً، ويرى كاتب هذه السطور أن المساهمات السابقة، على ريادتها وقيمتها الكبيرة، فإنها قد تتبعت بعض المحاور البارزة في السورة ، ولم تتحدث عن المحور الرئيس الذي تتفرع منه سائر المحاور.

وبهدف التوصل إلى محور السورة الرئيس يحسن الإفادة من:

1) اسم السورة.
2) مطلع السورة وخاتمتها.
3) ما ورد في السنة بشأنها.
4) السورة السابقة والسورة اللاحقة لها.

اسم السورة

أخذت السورة اسمها من قصة الكهف، وهي تتحدث عن فتية من دعاة التوحيد يأمرهم الله تعالى أن يأووا إلى كهف، هرباً من قومهم الذين يحاربون التوحيد ولا يقبلون من الفتية إلا العودة

في ملتهم أو يرجمونهم حتى الموت، ويضرب الله على آذانهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا، ثم يبعثهم ويُعثر عليهم، وتنتهي القصة بأن يقرر الذين غلبوا على أمرهم أن يتخذوا عليهم مسجدا.

في بداية القصة موحدون مطاردون، وفي خلالها حفظ لهؤلاء وحماية من كل ما من شأنه أن يؤثر فيهم؛ من الإنس والسباع والحشرات، ومن عدم الأكل والشرب ، ومن الشمس التي تزاور عنهم إذا طلعت وتقرضهم إذا غربت ، ومن الأرض أن تأكل أجسادهم، فيقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال ، وصورة كلبهم باسطاً ذراعيه بوصيد الكهف، تعزز إيحاءات وظلال الحراسة والحماية، ثم يكون انتصار الإيمان بالرغم من غياب الفتية المؤمنين بدليل بناء المسجد من قبل الفئة الغالبة.

الكهف: كانت وظيفته حماية الفتية ، وقد انتهت القصة فإذا الدين الذي كان مهدداً مطارداً قد عادت الغلبة لأهله الذين يقررون اتخاذ "مسجد" على الكهف وأصحابه، وبالتالي فقد أظهرت القصة حفظ المؤمنين وحفظ الدين، بالرغم من غياب المؤمنين.

مطلع السورة وختامها

بدأت سورة الكهف بقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً) (الكهف 1-2).

وختام السورة : (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (الكهف 109-110).

في أول السورة أن الله تعالى لم يجعل لكتابه عوجا بل هو قيم، وربما وقع كثير من المفسرين في خطأ القول أن الآيتين تؤكدان أن الكتاب مستقيم غير أعوج، لكن النص الكريم لم يقل : (ولم يجعل فيه عوجاً)، بل قال: (ولم يجعل له عوجا) أي ليس فيه قابلية للحرف والاعوجاج ،

كما ذكر في نظم الدرر، وهذا شبه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، والتعبير بـ :" لم يجعل" إشارة إلى أن الأصل في كلمات الله تعالى وكتبه أنها غير قابلة للاعوجاج والتحريف، لكنه سبحانه، لحكمة منه، أذن بأن تعبث أيدي البشر بالكتب السابقة التي استحفظها الربانيين والأحبار، فيما تعهد جل شأنه بحفظ القرآن، ومعنى أن الكتاب قيّم أي مهيمن على ما سواه كاشف تحريفها، ومؤيد لما بقي من الحق فيها.

وفي آخر السورة تأكيد لما جاء في مطلعها : (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) (الكهف :109)، ويشبهه ما جاء في الحديث القدسي : (**وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء**) (صحيح الجامع الصغير، الألباني، 2637) ، وقوله ﷺ في ختام الكلمات التي علّمها ابن عباس رضي الله عنهما: (**رفعت الأقلام وجفت الصحف**) مسند أحمد، بتحقيق أحمد شلكر، 4/233، الألباني، صحيح الترمذي، 2516، فضلاً عما تفيده الآية من لانهائية المعاني المستخرجة من كلمات الله تعالى على امتداد الزمان والمكان، ويتأكد معنى حفظ كلمات الله خلال السورة الكريمة في قوله تعالى: (لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) (الكهف : 27).

وهنا يلاحظ أن مفهوم الحفظ الذي دلت عليه قصة الكهف ، يؤكده مطلع السورة ومقطعها، فحفظ الكتاب هو حفظ الدين، بل وحفظ المؤمنين أيضاً، كما يستفاد من قوله تعالى : (قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ) (الكهف : 2) ؛ فهذا الكتاب قيم ومهيمن وغالب ، وهو سائر بالمؤمنين إلى حيث يصبحون ذوي بأس شديد ، ولن يبقوا على ضعفهم البادي وقت النزول ؛ وقصة ذي القرنين في أواخر السورة مثال على ذلك.

ما ورد في السنة الشريفة عن سورة الكهف

روى مسلم عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال:(**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال، وفي رواية، من آخر سورة الكهف**) (مسلم،المسند الصحيح ، 809).

وهنا فالحديث الشريف يؤكد معنى الحفظ مرة أخرى، فالعصمة من الدجال، تعني الحفظ في أظهر صوره، وهذا الحفظ ناتج من عدم انخداع المؤمنين بدجل الدجال وزيفه ، لاهتدائهم بوحي الله تعالى ، وتتجلى ميزة سورة الكهف لقارئها المؤمن بمضمونها في التفريق بين الذين يقعون في حبائل الدجال لتوقفهم عند ما تراه الحواس، وأولئك الذين اهتدوا بوحي الله فعصمهم ونجاهم.

ولقد ابتدأت قصة الكهف بقوله سبحانه مخاطبا نبيه محمدا ﷺ (أم حسبت) لأجل تصحيح ما قد يعلق بالحس والعقل من تصورات وأوهام ناتجة عن ثقل الواقع المادي ، وما يظهر من قوة الباطل ، وضعف الحق وأهله، وهنا فالله تعالى يؤكد أنه الأعلم ، وما يقوله هو الحق وإن بدا للحس غيره، وقد ظهر بارزاً في قصة الخضر وموسى عليهما السلام كيف أن الحقيقة التي أعلمها الله تعالى للخضر كانت خلاف ما ظنه موسى عليه السلام من خرق السفينة ، وقتل الغلام وإقامة الجدار، والزينة التي جعلها سبحانه للدنيا، لأجل أن يتميز من يصدقون وحي الله تعالى بأنها(دنيا)، ممن يتوهمون، لوجود الزينة، خلاف الحقيقة.

إن حديث ابن عباس: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: (**يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل اللّه ، وإذا استعنت فاستعن باللّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه اللّه عليك، جفت الأقلام ورفعت الصحف**) (الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته،7957) ، هذا الحديث في رأي الكاتب هو تلخيص أو اقتباس من المحور الرئيس لسورة الكهف.

وأما الأحاديث التي تربط بين سورة الكهف ويوم الجمعة، فسيأتي الحديث عنها بإذن الله فيما بعد.

موقع سورة الكهف بين سورتي الإسراء ومريم

ابتدأت السورة كما خُتمت بقضية حفظ كتاب الله تعالى وكلماته، وإذ أكد مطلع السورة حفظ القرآن الكريم، فقد ألمح إلى أن ما سبقه من كتب الله تعالى لم يشملها حفظ الله سبحانه، وفي ذلك، إشارة إلى أنها بهذه الصورة لا تعبر عن مراد الله ، ولا تستحق بالتالي أن تكون مرجعاً للمؤمنين خاصة ، وللناس على وجه العموم.

وإذن فالمحور الأول الذي ينبثق من حفظ الكتاب هو مرجعيته وحده، وإلغاء المرجعيات السابقة بعدما حرفت الكتب ؛ حيث إنه وحده كتاب الله تعالى ، ولذلك جاء في السورة الكريمة : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقّ) (الكهف:13) (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً) (الكهف 22) ومن هنا يتكرر في سورة الكهف:(رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم) (الكهف 22) (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) (الكهف : 26) وينبثق عنه أيضاً انتقال الإمامة إلى محمدﷺ، الذي نزل عليه هذا الكتاب المحفوظ.

وكانت سورة الإسراء قد أعلنت انتقال القيادة الدينية من بني إسرائيل إلى محمد ﷺ وأمته، من خلال رحلته ﷺ إلى بيت المقدس، التي كانت مركزاً لعدد من أنبياء بني إسرائيل، بسبب الفساد، بل الإفساد الكبير الذي انتهى إليه بنو إسرائيل ، فلم يعودوا يصلحون لحمل الرسالة والإمامة الدينية، ولذلك كانت إمامة رسولنا ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء رمزاً آخراً استلامه وأمته أمانة الدين.

وتؤكد سورة مريم المعنى ذاته بعد أن تستعرض عدداً من الأنبياء،حيث تذكر أن الذين جاءوا من بعدهم ضيعوا الصلاة التي هي عمود الدين،ولم يحافظوا على ميراث النبوة : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) (مريم: 58- 59) ، ما يعني أن الراية ستنتقل إلى غيرهم.وقد لفت بعض المفسرين إلى أن مغزى اتباع

موسى ﷺ للخضر كي يتعلم منه، هو أن يحذو قومه حذوه فيتبعوا محمداً ﷺ.

التوحيد:

إن أبرز قضية في هذا الكتاب المحفوظ هي قضية التوحيد، ولذلك جاءت في مطلع السورة وختامها: ففي المطلع حمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب، وفي الختام تأكيد الكلام على لسان الرسول أنه بشر ـعبدـ،وأنه يوحى إليه. في البداية أن الكتاب ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً، وفي الختام أن طريق النجاة هو بالعمل الصالح، وأن لا يشرك بعبادة ربه أحداً.

وقد زلت أقدام الأمم السابقة بانحرافهم عن التوحيد، الذي أهم ما فيه الفصل الواضح بين مقام الألوهية ومقام العبودية، ولذلك يسترعي الانتباه اشتمال مطالع السور الثلاث: الإسراء والكهف ومريم، على ما يبدد الأوهام التي قد تنجم عن إكرام الله تعالى أحد عباده بالنبوة ، أو الإسراء ، أو الرحمة الخاصة، بتكرار لفظة: (عبده) في كل واحدة: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) (الإسراء:1) ، (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ) (الكهف:1)، (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) (مريم:2) ، ثم يكون أول كلام عيسى ﷺ لقومه وهو في المهد: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) (مريم:30) ،حتى لا يتسرب الوهم بوجود خصائص إلهية لدى عيسى ﷺ نتيجة معجزة الولادة والكلام في المهد ، وما سيتبعهما من إحياء الموتى وغيرها.

والأمر ذاته يقال في وصف الله تعالى للخضر في قصته مع موسى عليهما السلام ، (فوجدا عبداً من عبادنا)، إذ لم يكتف سبحانه بالقول إنه (عبد) وإنما أتبعها بالقول (من عبادنا) ؛ ذلك أن ما أجراه سبحانه من الخوارق على يديه، وما أعلمه من الغيب الذي أخفاه حتى عن موسى ﷺ حتى جعله يتتلمذ عليه ، كل ذلك قد يوقع في النفوس الضعيفة والعقول الخفيفة أن للخضر ﷺ ميزة على موسى، بل وأن له نسباً إلهياً، ومن هنا جاءت الآيات تبين أن الخضر مع كل ذلك لا يعدو كونه عبداً، وأن ما ذُكر بشأنه لا يعطيه ميزة على سائر عباد الله تعالى ولا يخرجه عن أن يكون واحداً من عدادهم، ولذلك جاء فيما روى البخاري من كلام الخضر لموسى عليهما السلام، أن عند كل واحد منهما علماً علّمه الله تعالى

إياه مما لم يعلمه الآخر، وكأن في اختيار مجمع البحرين مكاناً لالتقاء الرجلين ما يشي بأن كلاً منهما بحر فيما علّمه الله، لا أن الخضر بحر وموسى نهر أو بحيرة.

ولعل فيما جاء عن قرار الذين غلبوا على أمرهم أن يتخذوا مسجداً على أصحاب الكهف، ما يشير إلى بدايات الشرك عند الأقوام السابقة تحذيراً لأمة محمد ﷺ، من مثل صنيعهم.

تصحيح الحسبان

يلفت النظر توجيه الخطاب في مطلع قصة الكهف إلى النبيﷺ ، (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) (الكهف:9) ، ما يعني أن القصة مسوقة في تصحيح حسبان قد يتسرب بأن الآية الربانية في حفظ الإيمان وأهله ، فريدة من نوعها ، ولا سبيل إلى تكرارها، والملاحظ أنه يتكرر في السورة الكريمة موضوع التصويب ، وهو أمر طبيعي، وما دام هذا الكتاب كتاب الله تعالى فإنه المرجع، وما يخبر به هو الحق، وإن ظهر للناس غير ذلك، فإنه لا أعلم من الله تعالى، ولذلك فقد تحدث صاحب الظلال عن سورة الكهف ودورها في تصحيح الفكر ، والنظر ، والسلوك ، والموازين ، فالسورة تؤكد أن الله تعالى جعل ما على الأرض زينة لها، ما يعني أن ما يظهر على السطح ليس بالضرورة هو الحقيقة، ثم يأتي التعقيب على قصة الكهف بأمر النبي ﷺ ، (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) (الكهف:28) إن المظهر الخارجي ربما يوهم بأن هؤلاء المؤمنين لا مستقبل لهم، وأن القوة والمستقبل مع الذين بيدهم زينة الحياة الدنيا، فتؤكد السورة أن أمر هؤلاء فرط غير متماسك ، وأن المستقبل الحقيقي في الدنيا والآخرة هو مع هؤلاء المستضعفين، الذين قد لا يملأون العيون فعليه أن يصبر نفسه معهم، وألا تعدو عيناه عنهم باتجاه من أغفل الله قلبه واتبع هواه وكان أمره فرطا كمثل صاحب الجنتين، الذي حسب أنه خير عند الله لكونه أكثر من صاحبه مالاً وولداً، وأنه مفضل في الآخرة كمثل تفضيله في الدنيا، فجاء رد صاحبه

المؤمن ثم الإحاطة بثمره ليصحح له سوء فهمه وليرسخ للمؤمنين ما يجيئهم من الوحي، ويستمر الجو- جو التصحيح- في قصة موسى مع الخضر بمشاهدها الثلاثة، وحتى في قصة ذي القرنين فإن القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً ، حسبوا ذا القرنين كغالب الملوك في الأرض ، فعرضوا عليه خرجا حتى يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً.

التناسب بين قصص السورة

وبالعودة إلى محور الحفظ الذي أبرزته بداية السورة وخاتمتها ، والقصة التي بها سميت السورة، وحديث العصمة من الدجال، يلاحظ أن هذا المعنى ينتظم أيضاً سائر قصص السورة الكريمة، بدءاً من حفظ أصحاب الكهف، ثم حفظ الرجل المؤمن أن يفتن أمام صاحب الجنتين، ثم حفظ السفينة، فالوالدين المؤمنين، ثم كنز الغلامين اليتيمين، ثم حفظ القوم الذين كانوا لا يفقهون قولاً بإقامة الردم الذي يحميهم من عدوان يأجوج ومأجوج، وكذلك فالبقاء هو للصالحات، وهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا مبدل لكلمات الله من حيث اللفظ أو المعاني والسنن والقوانين.

إن قصة الكهف، التي سميت بها السورة، كانت كفصل أول في رواية، وتبعتها القصص الأخرى فصولاً تالية، أو هي ملخص وتفصيله ما بعده؛ فالسورة بدأت بما يشبه واقع المسلمين في مكة من المطاردة والاضطهاد، ثم أرادت تصبيرهم على ما هم فيه ، بطمأنتهم على أنفسهم، وعلى دينهم، وبلفتهم إلى أن لله تعالى حكمة عظيمة في كل أمر، وأن الأمور ليست على ظاهرها دائما، والمطلوب تسليم الأمر لله تعالى، فإن الله تعالى سيرعاهم ويحفظهم حتى يتم نوره، ويصير حالهم إلى حال ذي القرنين فيفتحون المشارق والمغارب بالتوحيد، واسم ذي القرنين كما هو واضح، يوحي بمعاني القوة والغلبة، كأنها تؤكد لهم أنهم صائرون إلى مثل حال ذي القرنين، وهو ما أشار إليه أول السورة في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا{1} قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَنَاً) (الكهف 1-2) ؛ فالله تعالى أنزل هذا الكتاب على عبده

(لينذر بأساً شديداً من لدنه)، والبأس الشديد يأتي من قوم أولي بأس شديد، في إشارة واضحة إلى ما سيصير إليه حال المؤمنين إلى القوة بعد الضعف، وإلى الأمن بعد الخوف، وإلى التمكين بعد التخطف والمطاردة، ولعل مما يفيده التعبير بـ (من لدنه) أن ليس في واقع المؤمنين وقت نزول الآيات، ما يدل على قرب امتلاكهم ذلك البأس، وبالتالي فهو بأس (لدنّي)، يوقن المؤمنون بالغيب أنه آت، ويستبعده الذين لا يؤمنون إلا بما تلامسه حواسهم .

ولا يستبعد الكاتب أن الذين كانوا يسألون ويكررون السؤال عن ذي القرنين هم الصحابة الكرام في مكة (الروايات عن سبب نزول قصة الكهف وقصة ذي القرنين، واهية جداً ولا يعتمد عليها)، وسؤالهم هو سؤال المتعجل الذي يقول متى ينتهي اضطهادنا وننتصر بالدين كما حصل مع ذي القرنين؟ أو يريدون التسلي بأخبار العزة والنصر للتخفيف من الواقع الأليم، فجاءت السورة وقصصها بشكل عام تدعوهم إلى الصبر وعدم الاستعجال وتطمئنهم (أَنَّ وَعْدَ اللَّـهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا) (الكهف:21) ، كما تحقق الوعد لفتية الكهف، وفي التعقيب على قصة الكهف جاء الأمر للرسول الكريم : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف:28)، وفي قصة موسى والعبد الصالح يخاطب الخضر موسى (قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) (الكهف:67) ويتكرر الصبر سبع مرات ، وبالذات في فواصل آيات القصة، والتي آخرها: (ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً) (الكهف:82) ثم يأتي بعدها خبر ذي القرنين ، كأنما ليوحي بأن التمكين يجب أن يسبقه صبر كثير، وأن مآل الصبر مع المؤمنين هو التمكين، وأن أشد ساعات الليل حلكة هي التي تسبق طلوع الفجر.

ثم جاءت قصة ذي القرنين "ذكراً"؛ (وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً) (الكهف:83) أي تذكيراً لهم بدورهم الرساليّ في نشر التوحيد وحماية الضعفاء، جهاداً

في سبيل الله تعالى والمستضعفين، كيلا يكون كل همهم الخروج من الأزمة دون التفكير في المستقبل المطلوب، ومرة أخرى يأتي الحديث عن وعد الله، لكن على لسان ذي القرنين، مقترناً بالحديث عن الآخرة، فالمؤمن لا ينسى في كل أحواله أنه صائر إلى دار الجزاء، فيصبّره ذلك أيام الشدة، ويضبطه أيام العز والنصر فيمنع غروره وانحرافه، وقد قيل لبني إسرائيل من قبل: (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (الأعراف:129).

ومن التناسب بين قصص الكهف وقصص مريم تكرر الرحمة في قصص السورتين، لكن الملاحظ أن الرحمة في الكهف هي رحمة الحماية والمحافظة على المؤمنين والضعفاء، والرحمة في مريم هي الرحمة بالمعين على الدعوة ، والورثة الذين يأخذون الراية عمن سبقهم. هو ما يلاحظ في الآيات التالية: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً) (الكهف:10) (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) (الكهف:82) ، كما قال الخضر لموسى مؤولاً أفعاله الغريبة بأنها رحمة بالمساكين أصحاب السفينة التي يلاحقها الملك القرصان، وبالوالدين اللذين قتل ابنهما كيلا يرهقهما طغياناً وكفراً، وباليتيمين إذ أقام الجدار ليحفظ لهما كنزهما، ومثل ذلك قول ذي القرنين للقوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً بعدما أقام ردما يمنع عنهم عدوان يأجوج ومأجوج : (قَالَ هَـذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي) (الكهف:98). وأما الرحمة في مريم فهي رحمة أصفياء الله المذكورين بمن يعينهم على الدعوة : (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) (مريم:2) ، و(وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً) (مريم: 53) .

الكهف والجمعة والخلافة:

في الحديث: (**من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق**)(الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، 736)، و(**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**)(السابق، 736).

إن يوم الجمعة هو يوم الخلافة ، لما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (خيريوم طلعت فيه الشمس: يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة) (صحيح مسلم، رقم: 854) ، فالخلق للخلافة والإخراج من الجنة لتسلم الخلافة.

إن سورة الكهف تبين للمؤمنين الوظيفة المنوطة بهم والدور المطلوب منهم، وهو القيام بواجب الخلافة وإعمار الأرض بشرع الله تعالى كما يبرز فيما قام به ذو القرنين من منع للفساد ، وزحف نحو المشارق والمغارب لإقامة العدل ونشر الخير، بعد أن ترينا مشهداً لملك قرصان لا يشبع حتى إنه ليلاحق المساكين في لقمة عيشهم.

ومن هنا يتبين لنا سر اجتماع المسلمين يوم الجمعة وسر خطبة الجمعة ، ومن ثم سر قراءة الكهف في هذا اليوم العظيم.

أن تعبد ربّك كأنّك تراه

فذلكم الإحسان

بقلم: كمال بواطنه / مدير دائرة في وزارة التربية والتعليم العالي

في حديث جبريل - عليه السلام - الشهير والمتفق عليه سأل جبريل الرسول - ﷺ - عن الإحسان فقال: " **أن تعبد اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"، وفي رواية للإمام مسلم" **أن تخشى اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"، وهذه العبارة على إيجازها ، وبساطة ألفاظها تحمل معاني ومدلولات ذات أهمّية بالغة، بل تمّثل القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام منهجه في تقويم السلوك " **أن تعبد اللّه كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك**". إنّ عين الله ترقب ابن آدم ، ترقبه ظاهراً وباطناً " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ "(ق:16)، فالوسوسة التي لا يطّلع عليها أحد غير صاحبها، والتي ينساق معها صاحبها لا تخفى على الله، والعين الخائنة لا تخفى كذلك على من خلقها " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ "(غافر:19)، " يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ "(الحاقّة:16)،" عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ "(الرعد:10،9) فالسرّ ، وما هو أخفى منه من الخواطر التي تجول في مسارب النّفس ، كلّ ذلك وأدقّ منه يعلمه الله ، وليت شعري إذا كان كل شيء مكشوفاً عند

الله فما بالنا لا نطهّر أنفسنا وقلوبنا وأقوالنا وأفعالنا من كلّ ما يلوّثها من المعاصي؟! ما بال الواحد منّا يبدو أمام الخلق ناسكاً عابداً فإذا ما ظن أنّه في خلوة عمل أعمال الشياطين.

المسلمون حين تمثلوا هدي نبيهم استحقّوا ذلك التاج الذي خلعه عليهم ربّ العزّة في قوله : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..."(آل عمران:110) . يومها كان الحاكم يقول لرعيته : "**أطيعوني ما أطعت الله فيكم ،فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم**" واليوم تبدّل الحال؛ فالحاكم يكره الناس على الطاعة، وويل لمن تبرّم أو تمرّد ، كان الحاكم يقول :"**إن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني**" . فأصبح لسان الحكّام في هذا الزمان: (**من حقّي أن أقود، ومن واجبك أن تتبع، من حقّي أن أقول، ومن واجبك ان تسمع ، رأيي صواب لا يحتمل خطأ، ورأيك خطأ لا يحتمل صوابا**).

يوم كانت الأمّة تعبد الله كأنها تراه وجدنا المرأة الربانيّة التي كانت تذكّر زوجها عند خروجه من البيت أن (**اتق الله فينا ؛ فإننا نصبر على الجوع ، ولكننا لا نصبر على عذاب الله يوم القيامة**).

يوم كانت الأمّة تعبد الله كأنها تراه وجدنا البنت الصالحة التي تقوّم أمّها ، وترشدها إذا زلّت أو ضلّت .كلّنا سمع عمّن قالت لها أمّها في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ : امذقي اللبن بالماء، فأجابتها : أولم ينهنا عمر عن مذق اللبن بالماء؟! فتقول المرأة :إنّ عمر لا يرانا. فتجيبها الابنة التي أحيا الإيمان قلبها: إذا كان عمر لا يرانا فإنّ الله يرانا .

يوم عبدت الأمّة الله كأنّها تراه ظهر منها التقاة الورعون. حدث عبد الله بن دينار:(خرجت مع عمر بن الخطّاب إلى مكّة فعرسنا ببعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل ، فقال له عمر : يا راعي الغنم ، بعنا شاة من هذه الغنم ، فقال : إنّي مملوك ، فقال له عمر وقد أراد أن يبلو إيمانه وأمانته : قل لسيّدك : أكلها الذئب ، فقال المملوك : أين الله!! فبكى عمر ، وغدا على سيّد الراعي، فاشتراه منه وأعتقه).

يوم عبدت الأمّة الله كأنّها تراه ظهر فيها الجنديّ الذي كان يقول :(**ليس بيني وبين الجنة إلا أن أقتل هذا الرجل أو يقتلني**) ، ثمّ يقتحم لجّة المعركة ليظفر بإحدى الحسنيين ، وإذا قدّر له ألّا يستشهد في هذه الجولة عفّ عند المغنم ، وكان لسان الحال : ليس من أجل هذا أسلمنا ، وحسب الواحد منّا لقمة يتقوّى بها ، وشملة يشتملها ...

يوم عبدت الأمّة الله كأنّها تراه ، برز فيها قادة عظام من أمثال القائد الفذّ خالد بن الوليد ، الذي لم يهزم في معركة قطّ ، والذي عزل عن القيادة بعد أن قاد المسلمين إلى النصر في معركة اليرموك الفاصلة ، ومع هذا انخرط في صفوف المقاتلين جنديّاً عاديّاً ، ولم يقد حركة تمرّد ، وربّما كان يستطيع ذلك ، وأطلق قولته الخالدة : (**أنا لا أقاتل في سبيل عمر ، ولكنني أقاتل في سبيل الله**) .

يوم عبدت الأمّة الله كأنّها تراه صلح شباب الأمّة فوجدنا الشابّ الذي يدوس الشهوة خوفاً من الله ﷻ ، ومن هذا الطراز شابّ وسيم من الشام كان تاجراً متجوّلاً يبيع الأقمشة، فرأته امرأة فوقع في قلبها ، فاستدرجته إلى منزلها ، وراودته عن نفسها بعد أن غلّقت الأبواب ، فتأبّى عليها ، وقال : إنّي أخاف الله ، فقالت: سأصيح، وعندها سيتجمّع الناس ، وسأقول : إنّ هذا يريد أن يهتك عرضي ، فقال : سأحقّق لك ما ترغبين ، ولكن هيّئي لي الحمّام لأزيل عن بدني ما تراكم عليه من عرق ... ، فسرّت بذلك ، فدخل الحمّام ، وعمد إلى القذر فلطّخ به بدنه وملابسه ، ثمّ خرج إليها ، فلمّا رأته واشتمت رائحته استقذرته، وصاحت به أن اخرج ، فخرج مهرولاً صوب بيته ، ولشدما كانت المكافأة من الله عظيمة فقد جعل رائحة من المسك لازمته ما عاش ، حتّى لقد عرف بين الناس بالمسكيّ ، هذا في الدنيا قبل أن يستظلّ بظلّ الله يوم القيامة .

وهذا شاب عبد الله كأنّه يراه مرّ به أحد الصالحين وهو يجلس بعيداً عن جماعة يتزامون، فتقدّم إليه، وأراد أن يكلّمه فقال له: ذكر الله أشهى . فقال: أنت وحدك . قال: معي ربّي وملكاي .

قال له: من سبق من هؤلاء ؟ قال: من غفر الله له، فسأله: أين الطريق ؟ فأشار نحو السماء ، وقام ومشى...

يوم عبدت الأمّة الله كأنّها تراه صلح المجتمع؛ صلح الزوج والزوجة ، وصلح الأبناء ، وصلح الصانع والتاجر ... واستقاموا جميعاً على الطريقة؛ فكان الواحد منهم قرآناً يمشي على الأرض ، واقتدوا بمحمّد ﷺ - زوجاً وأباً وربّ أسرة ومعلّماً وقائداً وعابداً وعاملاً ومصلحاً...

اليوم - وللأسف - غدا الإيمان عند كثير من الناس مجرد غطاء يسوّقون به أنفسهم ، أو بعبارة أخرى أصبحوا يتاجرون بالدين ، ويصدق على هؤلاء قول العالم الزاهد عبد الله بن المبارك:

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره وقد فتحت لك الحانوت بالدين
صيّرت دينك شاهينا تصيد به وليس يفلح أصحاب الشواهين

ومثل هؤلاء كمثل التاجر الذي يسوّق السلعة بالحلف الكاذب ، أو كمثل الممثلة التي يسند إليها دور امرأة تقيّة نقيّة فتتجلبب؛ لا تقوى لله وخشية منه، بل إرضاء للدور ، ودليل ذلك أنّها تعود إلى سفورها فور فراغها من أداء الدور . وكثمرة من الثمار المرّة لغياب الإيمان الحقّ الذي يجعل المؤمن يعبد الله كأنّه يراه وجدنا التديّن المغشوش متفشّياً ، فأصبحت الصلاة حركات ، والصيام جوعاً ، والصدقة رياء ومنّة، والحجّ مباهاة ،وأصبح الكذب العلامة اللازمة لمجتمع المسلمين ،مع أنّ المسلم لا يكون كذّاباً ، وغدا الصدق خلقاً نادراً ، حتّى إنّك لتلقى الاثنين يحدّث الواحد منهم الآخر ، وكلّ منهم يعرف أنّه يكذب على صاحبه، ويروغ معه روغان الثعلب، وربّما تمثّل كلّ منهم قول المتنبّي :

ولما صار ودّ الناس خبّا جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشكّ فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

فأين منا المتقون ؟! أين منا من لاتعرف شماله ما أنفقت يمينه ؟! أين منّا من يتقن صلاته في الخلوة أكثر ممّا يتقنها وهو في سربه؟! أين منّا من يطهّر عمله، كلّ عمله من الشرك الأصغر؟! أين منّا من تعرض له الفتنة فيقول: "إنّي أخاف الله"؟! أين منّا من تسند إليه الأمانة فيؤدّي حقّ الله فيها؟! أين منّا من يعبد الله كأنّه يراه ، فإن لم يكن يرى الله فإنّه يراه؟!

ظاهرة التكفير وخطرها على المجتمع

ألقيت في المسجد الأقصى المبارك

في 6/رجب/1428هـ وفق 2007/7/20م

لسماحة الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / خطيب المسجد الأقصى المبارك

الخطبة الأولى :

الحمد لله أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وهدانا إلى سبيل الإيمان ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، نحمده تعالى على هذه النعمة ونشكره على هذه المنة .

ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، قال تعالى في محكم كتابه " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً "**المائدة ، ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، أدى الأمانة ،وبلغ الرسالة ونصح الأمة ،وتركنا على محجة بيضاء نقية ،ليلها كنهارها ،لا يزيغ عنها إلا هالك ، فصلاة الله وسلامه على حبيبه المصطفى ،ورسوله المجتبى ،وعلى آله الطاهرين المستكملين الشرفا وعلى آله وأصحابه ،مصابيح الظلام ،وأقمار الدجى ،ومن تبعهم وسار على نهجهم ،واقتفى أثرهم ، واستن سنتهم إلى يوم الحشر والملتقى .**

عباد الله ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم وطاعته ، واحذركم وإياي من عصيانه ومخالفة أمره، لقوله تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } (فصلت:46)

أيها المسلمون : أيها المرابطون في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس :

منذ تنكبت أمتكم جادة الصواب، بالبعد عن أحكام هذا الدين، وهي تعاني البلاء والضعف والهوان والفرقة والخصام. وان المتتبع لأحوال الأمة، ومراحل الضعف التي مرت بها ليرى بعين بصيرته وبصره ما آلت اليه أحوال هذه الأمة ، التي تمر اليوم في مرحلة الغثائية التي أخبرنا عنها رسولنا الأكرم ﷺ فيما رواه ثوبان ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : " **قال رسول اللّه ﷺ يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن اللّه من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن اللّه في قلوبكم الوهن ،فقال قائل: يا رسول اللّه ، وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت** " رواه ابو داوود في السنن ، (حديث رقم 3745).

إنه الصادق المصدوق ﷺ يصف حال الأمة في نبوءة تخترق حجب الزمان والمكان ، أليس هذا هو حالنا اليوم يا مسلمون ، وقبل اليوم بقرن من الزمان أو يزيد ، يوم تداعت علينا الأمم، وشنت علينا حروباً استعمارية ، هدفها ثقافي واقتصادي ، وكان المستهدف الأول لهذه الحرب هذا الدين العظيم ، الذي وحد الأمة على اختلاف أعراقها وألوانها ، تحت راية عقيدته السمحة، وشريعته الغراء . ميزان التفاضل بينها "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "(الحجرات:13)، ورباط الأخوة "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الحجرات:10) ، والشعار الذي لا يعلوه شعار " المسلم أخو المسلم "والحاكمية في هذه الأمة الكريمة لله وحده : (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) (الأنعام:57) ولما انقادت الأمة لهذا الحكم استحقت بجدارة وصف الله تعالى لها : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) (آل عمران:110) ، فمن أراد أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها .

أيها المسلمون : يا إخوة الإيمان في كل مكان :

ولما تخلفنا عن هذه الشروط تداعت علينا الأمم ، وطمعت في بلادنا وخيراتنا ، وحاربت ثقافتنا وأصبح عددنا الذي جاوز المليار ، غثاء كغثاء السيل ، ودخلنا مرحلة الغثائية التي أخبر عنها نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

هذه المرحلة التي فقدت فيها الأمة مكانتها وهيبتها ، وطمعت بها أمم الأرض.

ونزعت مهابة الأمة من قلوب الأعداء وصدورهم ، ومرد ذلك إلى هذا التفرق والتشرذم ، والضعف والهوان ، الذي أصاب الأمة في مرحلة الغثائية ، التي تعيشها الأمة واقعاً ملموساً ومشاهدا. كما أن الوهن الذي قذف في قلوب أبناء الأمة قد أستفحل ضرره ، ووجد طريقه إلى القلوب والنفوس ، فأشغلها بحب الدنيا ، وصرفها عن دينها ، وعن آخرتها . ومعلوم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

أيها المسلمون : يا أخوة الإيمان في كل مكان :

في مرحلة الغثائية لم تقف الأحداث عند حد الاستعمار ، ونهب خيرات شعوب الأمة ، وتشويه ثقافتنا ، ومحاربتها ، والتشكيك فيها ، والتعرض لرموزها ومقدساتها ، رغم خطورة هذه الأمور، بل تجاوزت ذلك الى زرع الفتنة بين أبناء الأمة ، بتقسيمها على أسس قومية ، أو طائفية أو مذهبية ، وإذكاء نار الفتنة والنزاع بين شعوب الأمة ، لا بل بين أبناء الشعب الواحد وفق هذه المعايير والمقاييس ، وان من أخطر الظواهر التي تواجه الأمة في مرحلة الغثائية ظاهرة التكفير التي أصبحت تأخذ حيزاً في ذهن كثير من أبناء المسلمين وفكرهم الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بإطلاق وصف الكفر على من يخالفونهم الرأي من أبناء المسلمين،أو لا يتبنون مقولتهم وفكرهم. وقد تجاهل القائلون بالتكفير لأبناء المسلمين أن من قال " لا اله إلا الله وأقر برسالة رسول الله ﷺ يصبح مسلماً معصوم الدم والمال إلا بحق الله تعالى ، والرسول ﷺ يقول : "من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" (رواه أحمد في مسنده، حديث رقم 5644) .

نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ونسأله تعالى الثبات على الإيمان ، وحسن الظن بالمسلمين ، وأن يلهمنا السداد في القول والعمل ، انه نعم المولى ونعم النصير .

وهذا رسول الله ﷺ الذي لا يرد قوله لم يقبل اعتذار أسامة بن زيد - رضي الله عنهما – حينما قتل الجهني بعدما قال " لا اله إلا الله " -يقول أسامة - رضي الله عنه - "بعثنا رسول اللّه ﷺ إلى الحرقة من جهينة ، قال :فصبحنا القوم فهزمناهم ، قال :ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم قال : فلما غشيناه قال لا إله إلا اللّه قال: فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته قال : فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال : فقال لي يا أسامة أقتلته بعد ما ، قال : لا إله إلا اللّه قال قلت يا رسول اللّه إنما كان متعوذا قال : أقتلته بعد ما قال لا إله إلا اللّه قال فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم". (رواه البخاري ، حديث رقم 6364).

وفي رواية أخرى " **هلا شققت عن قلبه** " فهلا كف من يطلقون الكفر على من قال " **لا اله إلا اللّه** " وصلى وصام والتزم بالاسلام ، هلا كفوا عن مقولتهم وعادوا الى رشدهم وابتعدوا عن الخوض في تكفير المسلمين ، لسفك دمائهم واستحلال أعراضهم وأموالهم ، والتزموا عقيدة أهل السنة والجماعة ، التي عليها مات أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن تبعهم من السلف الصالح ، واجمع عليها علماء الأمة إننا لا نكفر احداً من أهل القبلة بذنب .

اللهم يا مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك ، وارزقنا اليقين حتى نلقاك موحدين.

(وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحشر:10)

فاتقوا الله يا أولى الأبصار وادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة

الخطبة الثانية : الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، واشهد أن لا اله إلا الله ، أحب لعباده أن يعملوا لدينهم ودنياهم ، حتى يفوزوا بنعم الله ، وينالوا رضوانه . وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، دعا إلى الله على بصيرة ، فأقام الدين ، وأوضح السبيل ، وتركنا على الهدى المستقيم ﷺ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد أيها المسلمون : يا أبناء ديار الإسراء والمعراج ، في هذا اليوم يطلق سراح عدد من الأسرى من أبناء شعبنا الفلسطيني ، ليعودوا إلى شعبهم وأهلهم وذويهم بعد قضاء مدد من

الزمن في السجون الإسرائيلية ، ضحوا خلالها بحريتهم من اجل حرية الوطن والمواطن وكانوا خير المدافعين عن قضية شعبهم قبل أن تحجب حريتهم خلف القضبان وحرصوا على خدمة قضيتهم وقضية شعبهم وأمتهم من وراء القضبان ، فالحركة الأسيرة كانت وما تزال توجه نبض الشارع الفلسطيني ، وتسهم في تصويب مسار العمل الوطني الفلسطيني بمسؤولية عالية، وإحساس مرهف ، يوجه البوصلة الفلسطينية نحو الأهداف السامية لشعبنا الصابر المرابط .

أيها المسلمون : يا أبناء ديار الإسراء والمعراج

إننا ونحن نرحب بهذه الكوكبة من أبناء الحركة الأسيرة ، الذين أطلق سراحهم ، لندعو الله تعالى أن يفرج عن جميع الأسرى والمعتقلين ، إذ لا تكتمل فرحة شعبنا إلا بعودة جميع الأسرى إلى ذويهم ، والى حضن شعبهم ، الذي يقدر صبرهم وتضحياتهم . فمن حق جميع الأسرى أن يطلق سراحهم وهذا حقهم الشرعي والطبيعي والإنساني ، الذي نادت به كل الشرائع والأعراف والمواثيق الدولية . وإننا نطالب كل الهيئات ذات الصلة ، بالعمل على إطلاق سراح جميع الأسرى ، كما ندعو دائما إلى أن تكون قضية إطلاق سراح الأسرى ، على رأس أولويات العمل الفلسطيني ، في جميع مؤسساته الرسمية والشعبية والمدنية ، لما لهذه القضية من أهمية لدى شعبنا الفلسطيني . فالأسير هو ابن جميع الشعب وحق له أن يكون كل الشعب مشغولاً بحريته وإطلاق سراحه، فالذي ضحى بحريته يستحق من شعبه أيضا كل التضحيات من أجل إطلاق سراحه وحريته، فحمدا لله على سلامة أسرانا ،وندعوه تعالى أن يعجل في خلاص بقية الأسرى ، انه على كل شيء قدير ، كما يجب أن لا تشغلنا الفرحة بإطلاق سراح الأسرى على أهميتها عن واجبات مواجهة سياسة الجدار والاستيطان ومصادرة الأراضي ، وغير ذلك من الإجراءات التعسفية التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي ضد أرضنا وشعبنا الفلسطيني .

هذه الإجراءات التي تحتاج مواجهتها إلى وحدة شعبنا ، ورص صفوفه ، والارتفاع إلى مستوى التحدي المفروض على أبناء شعبنا الأبي ، والله يقول (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) (آل عمران:103).

من نشاطات دور الفتوى

اعداد : أ. عطا الله فلاحين / مدير الديوان / دار الفتوى

تعيين الشيخ إبراهيم عوض الله مفتيا لمحافظة رام الله والبيرة

أصدر الرئيس محمود عباس " أبو مازن " مرسوما رئاسيا بتعيين الشيخ إبراهيم خليل عوض الله مفتيا لمحافظة رام الله والبيرة ووكيلا مساعد لدار الفتوى والبحوث الإسلامية ، وذلك بتنسيب من الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية . يشار إلى أن الشيخ إبراهيم عوض الله يحمل درجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية ، ودرجة الماجستير في أساليب تدريس الشريعة الإسلامية من جامعة القدس ، وشغل عدة مناصب إدارية وتعليمية في دائرة أوقاف القدس ، كان آخرها نائبا أكاديميا لعميد كلية الأمة .

دار الفتوى والبحوث الإسلامية للقدس تدين الاعتداء على المفتي العام والشيخ رائد صلاح

أدانت دار الفتوى والبحوث الإسلامية للقدس والديار الفلسطينية بجميع موظفيها ، وأعضاء مجلس الفتوى الأعلى ، والمفتين ، الاعتداء الذي قامت به قوات الاحتلال ضد الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية رئيس مجلس الفتوى الأعلى والشيخ رائد صلاح وعدد من المدعوين إلى حفل عشاء أقيم في أحد منازل القدس. وقال الشيخ إبراهيم

عوض الله الوكيل المساعد لدار الفتوى ، ومفتي محافظة رام الله والبيرة في بيان صدر عنه أن سلطات الاحتلال من خلال منعها إقامة عشاء في فندق الكومودور، وملاحقة المدعوين إلى سطح المنزل الذي انتقلوا إليه يدل على النية المبيتة للمس بهم.

وقال أن المفتي العام هو أعلى مرجعية دينية في فلسطين ، وله احترامه وتقديره ، وأن محاولة المس به تسيئ إلى جميع مسلمي هذه الديار، مطالباً سلطات الاحتلال التوقف عن مثل هذه الأعمال التي تتنافى مع الأعراف والقوانين والشرائع، مناشدا جميع الهيئات والمؤسسات بالعمل لمنع تكرار مثل هذه الأعمال المستنكرة ضد المرجعيات الدينية والإسلامية .

مفتي محافظة رام الله والبيرة يدعو للمحافظة على حرمة شهر رمضان

رام الله : دعا الشيخ إبراهيم خليل عوض الله مفتي محافظة رام الله والبيرة المواطنين الكرام إلى المحافظة على حرمة شهر رمضان، بصيام نهاره والبعد عن كل انتهاك لحرمته. وحث في بيان أصدره التجار الكرام على التحلي بقيم الإسلام الحنيف في عملهم، وذكرهم بخطورة الاستغلال واحتكار السلع . كما حث الأغنياء على مساعدة إخوانهم الفقراء والمحتاجين. وأشار إلى أهمية وحدة الصف، وحذر من الشقاق والنزاع . وتمنى الخير لأبناء هذه المحافظة والمسلمين والوطن الغالي.

من نشاطات دار الفتوى في جنين

جنين : قام فضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح مفتي محافظة جنين بإلقاء محاضرة دينية في جمعية زرعين الخيرية ، بعنوان "المرأة ودورها في المجتمع" حيث بين مكانة المرأة ودورها الريادي في الدفاع عن الوطن والمواطن ، وإنها الحصن المتين ، والسد المكين ، في صيانة ورعايتها الأسرة ، مع الإشارة إلى دورها في بناء المجتمع وحماية أبنائه .

كما استقبل فضيلته قائد منطقة جنين ، وأطلعه على أعمال دار الفتوى ، ومدى صلة الجمهور المحلي بهذه المؤسسة الدينية ، التي تمثل رأس الهرم الديني في المحافظة .

كما ألقى فضيلته محاضرة في مسجد الأمن الوطني في جنين ، بين فيها أن رجال الأمن هم حماة

الوطن ، وان الذي يطلق عليهم النار باغ آثم ، وإذا قتل لا دية له ،كما أن رجل الأمن في حال تعرضه لإطلاق نار فقتل شخصا لا إثم عليه ، وإذا لا سمح الله قتل فهو شهيد وأجره على الله لكونه يدافع عن وطنه وموقعه وأن حامل السلاح المهاجم للموقع صائل يجب رده ، وإلا لاستبيحت المحرمات ، ومن الجدير ذكره أن فضيلته تلقى كتاب شكر وتقدير من بلدية جنين لوقفته الجادة وأعضاء لجنة الفتوى المحلية إلى جانب البلدية ، في توضيح الأحكام الشرعية الخاصة بالمعاملات المالية وبيانها ، وكيفية التعامل حسب الشريعة الإسلامية السمحة . كما إنهم حثوا المواطنين على ضرورة الإسراع في تسديد ما عليهم من ديون للبلدية ، حتى تتمكن من تقديم الخدمات للمواطنين بشكل سليم .

ضمن فعاليات دار الفتوى نابلس

نابلس : ألقى فضيلة الشيخ احمد شوباش مفتي محافظة نابلس خطبة الجمعة في مسجد عباد الرحمن ، لأربع جمع متتالية ، تناولت موضوعات متنوعة ، تحدث في الجمعة الأولى عن الإخوة والوحدة ، وفي الجمعة الثانية عن غلاء الأسعار ، ونصائح للتجار بالحرص على ضوابط الإسلام في التجارة ، وفي الجمعة الثالثة والرابعة تحدث عن تربية الأولاد ، والظواهر السيئة في ذلك ، إلى جانب الحديث عن الإسراء والمعراج ، وبدء العام الدراسي الجديد ، ووصايا لأولياء الأمور .

ومما يجدر ذكره أن لفضيلته نشاطات عدة إذاعية وتلفزيونية وصحفية ، تحدث فيها عن علاقة المسلم بربه ، وأبنائه ونفسه ووالديه ، وإخوانه ، وكذلك علاقة المسلم بمجتمعه ، وبين فضيلته أيضا في حلقات إذاعية بعنوان "لو كنتم تعلمون" تفسيرات علمية لأحكام شرعية في الصيام والصلاة والطب النبوي ، ونصائح وسلوكيات النبي عليه الصلاة والسلام في النوم ، والشرب والعطاس وغيرها .

كما أصدر فضيلته كعادته غرة كل شهر هجري العدد الثالث من نشرة القسط والوسط، تحدث فيها عن النهي عن التشدد في الدين ، وشرف طلب العلم ، ومن أخلاق المجتمع المسلم ،

وهناك موضوعات متعددة ومتنوعة أخرى ، ومن الجدير ذكره أن هذه النشرة الدورية تصدر عن دار الفتوى نابلس في غرة كل شهر هجري .

مفتي طوباس يتحدث عن أمانة الكلمة والدروس المستفادة من رحلة الإسراء والمعراج

طوباس : ألقى فضيلة الشيخ حسين محمد عمر مفتي محافظة طوباس درساً دينياً بعنوان أمانة الكلمة ، حيث بين أهمية التمسك بحديث الرسول ﷺ " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " وتطبيقه تطبيقا عمليا ، ودعا إلى نشر الخير ، والتفاؤل بين الناس ، والدعوة إلى التمسك بالوطن ، والالتفاف حول الأقصى في هذه الظروف التي يمر بها الشعب الفلسطيني المرابط ، ومما يجدر ذكره أيضا أن لفضيلته نشاطات عدة في الإصلاح بين الناس ، وحل الخلافات الاجتماعية .

وألقى فضيلة مفتي محافظة طوباس خطبة الجمعة بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج ، حيث تحدث فضيلته عن معجزة الإسراء والمعراج ، والدروس والعبر المستفادة منها ، مشيرا إلى أهمية القدس عند المسلمين ، ووجوب الحفاظ عليها والدفاع عنها ، كما شارك فضيلته في ندوة بعنوان الصحة الإنجابية والإجهاض بدعوة من جمعية تنظيم وحماية الأسرة الفلسطينية ، حيث تحدث فضيلته عن الرؤية الإسلامية لتنظيم النسل وتحديده ، والأحكام الشرعية المتعلقة بالإجهاض ، وأجاب عن أسئلة الجمهور واستفساراتهم .

تهنئة

يسر أسرة مجلة الإسراء بخاصة ، ودار الفتوى والبحوث الإسلامية بعامة ، أن تتقدم بأحر التهاني من فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله بمناسبة تعيينه مفتيا لمحافظة رام الله والبيرة ووكيلا مساعداً لدار الفتوى والبحوث الإسلامية ، وذلك بتنسيب من سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ، وتوليه أيضاً منصب رئيس تحرير مجلة الإسراء .

سائلين الله ﷻ أن يوفقكم لما يحبه ويرضاه

من أخبار مكتب المفتي العام

إعداد : أ. مصطفى أعرج / مدير دائرة الإعلام / دار الفتوى

خلال مشاركته في احتفال جمعية رعاية الأيتام في أريحا بتخريجه دوراتها

المفتي العام : ليتوقف التخوين والتكفير الذي يتعارض مع ديننا الحنيف

أريحا : شارك سماحة الشيخ محمد حسين ، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ، خطيب المسجد الأقصى المبارك ، في الاحتفال الذي أقامته جمعية رعاية الأيتام والمحتاجين الخيرية في أريحا في " قاعة تلفريك " وذلك بمناسبة تخريج عدة دورات

حفظ القرآن الكريم وتجويده والدعوة ، وذلك بحضور العديد من الشخصيات الوطنية والدينية وجمهور غفير من أهل الخريجين ، وقال سماحته خلال هذا الحفل : إن شعبنا الفلسطيني يمر بظروف صعبة ، وهذا يدعونا إلى قراءة القرآن الكريم ، حاثا الدعاة إلى تطبيق التعاليم الإسلامية، والالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة ، وتجنب التكفير ، حتى ندعو إلى الله بحق ، وعدم الإفتاء بدم أو عرض لإباحة فعل شنيع لمن يكفرون الآخرين ، مناشداً الجميع نبذ ظاهرة التخوين والتكفير، والمحافظة على الوحدة،مبينا أن المساجد للعبادة وليس للشتم والفرقة.

المفتي العام يشارك في حفل إجراء قرعة الحجاج للعام 1428هـ

رام الله : شارك سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ـ رئيس مجلس الفتوى الأعلى – في حفل إجراء القرعة الذي أقامته هيئة الحج والعمرة في قاعة بلدية

البيرة ، وأشاد سماحته بما تقوم به هيئة الحج والعمرة من اجل تسهيل أداء فريضة الحج ، منوهاً إلى الدور الكبير الذي يبذله العاملون فيها لخدمة الحجاج .

المفتي العام ضمن لجنة رئاسية تعود الجرحى من قطاع غزة في مستشفى سيروكا

رام الله : بناء على توجيهات سيادة الرئيس محمود عباس " أبو مازن " قامت لجنة رئاسية

بعيادة الجرحى في مستشفى سيروكا " بتل أبيب " الذين أصيبوا بالرصاص خلال الأحداث المؤسفة في قطاع غزة ، حيث استمعت اللجنة إلى شهادات من الجرحى حول إصابتهم والأوضاع الخطيرة التي وصل إليها الأمر في قطاع غزة ، وضم الوفد بالإضافة إلى سماحة المفتي العام ، العديد من الشخصيات الدينية والوطنية منهم الارشمنديت عطا الله حنا ، والدكتور أميل جرجوعي ، وعمار عوض ، وحاتم عبد القادر .

المفتي العام يشارك في منتدى فلسطين

القدس : شارك سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ، خطيب المسجد الأقصى المبارك ، في " منتدى فلسطين " الذي عقد تحت عنوان " خلفيات وأهداف

منتدى فلسطين " وذلك في قاعة فندق الامبسادور بحضور عدد من الشخصيات الفلسطينية الدينية والوطنية، وصرح سماحته خلال مشاركته : إننا نحتاج إلى من يفكر في خدمة قضيتنا الوطنية والمهم أن لا نضيع البوصلة ولا تتغير في اتجاهها ، وأضاف أن لا مانع من أن يكون هناك منتديات أو أحزاب ، ونحن نرحب بأي فكرة تصب في صالح استمرار القضية الفلسطينية .

المفتي العام يستقبل المرجعية الإسلامية للمسلمين في القوات الأمريكية المسلحة

القدس : استقبل سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – خطيب المسجد الأقصى المبارك – سماحة الإمام يحيى هندي المرجعية الإسلامية للمسلمين

في القوات المسلحة الأمريكية والجامعات ومؤسسات أخرى في أمريكا .

حيث بين سماحته لسماحة الإمام الأوضاع الصعبة والمعاناة الشديدة التي يعانيها أبناء شعبنا الفلسطيني ، وبين سماحته أن الإسلام دين محبة وسلام وان المسلمين يرغبون في العيش بسلام وأمان ، وقدم سماحته للضيف درع دار الفتوى .

المفتي العام عضو في مجلس الوعظ والإرشاد

العيزرية : شارك سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – رئيس مجلس الفتوى الأعلى – في الاجتماع الذي أقامه وزير الأوقاف والشؤون الدينية للجلسة الأولى لمجلس الوعظ والإرشاد ، حيث تم اختيار سماحته وعدد من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء

ليكونوا أعضاء في هذا المجلس ، وقد اتفق المجلس على عقد جلسة كل يوم خميس وذلك لمناقشة الأوضاع الصعبة التي يمر بها قطاع غزة .

المفتي العام يشيد بقرار الرئيس محمود عباس " أبو مازن " المتعلق بالانتخابات

القدس : أشاد سماحه الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – خطيب المسجد الأقصى المبارك – بالقرار الرئاسي الصادر عن سيادة الرئيس محمود عباس " أبو مازن " والمتعلق بإجراء الانتخابات التشريعية القادمة ، على أساس التمثيل النسبي ، واعتبار الوطن دائرة انتخابية واحدة ، مبيناً أن هذا القرار يسمح لجميع الفصائل والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني المشاركة في صنع القرار ، مما يضمن تمثيلها ، والتعبير عن رأيها ، وسماع صوتها لما فيه مصلحة الوطن والشعب ، وأن اعتبار الوطن دائرة انتخابية واحدة يؤكد على وحدة الشعب والوطن ، سواء في غزة ، أو الضفة ، أو القدس قلب فلسطين النابض ، يجمعهم هم واحد ، وهو الدفاع عن قضية الشعب الفلسطيني .

المفتي العام عضو في اللجنة الوطنية للتحضير لاحتفالية القدس عاصمة العرب الثقافية للعام 2009م.

القدس : اصدر سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس " أبو مازن " مرسوما رئاسياً بتشكيل اللجنة الوطنية للتحضير لاحتفالية القدس عاصمة العرب الثقافية 2009م .

وقد ترأس سيادته الجلسة الأولى للجنة ، وضمت اللجنة بالإضافة إلى سماحة المفتي العام الشيخ محمد حسين ، والعديد من الشخصيات الوطنية والدينية .

المسابقة الثقافية

العدد الخامس والسبعون

1ـ ما حكم طواف الإفاضة في الحج ؟
2ـ ما حكم من ترك الوقوف بعرفة ؟
3ـ ما حكم الطهارة في الحج ؟
4ـ أشهر الحج هي .... ؟
5ـ من الذي يجب عليه الهدي في الحج ؟
6ـ كم عدد المرات التي حج فيها رسول الله ﷺ ؟
7ـ وعد الرسول ﷺ من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا حتى تدفن قيراطان من الأجر ، فما المراد بمقدار القيراط هنا ؟
8ـ من الصحابي الذي ذكر اسمه الأول في القرآن الكريم ؟

اجابة المسابقة للعدد الثالث والسبعين :

السؤال الأول : خالد بن الوليد ، عمر بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن أبي سفيان.

السؤال الثاني : طارق بن زياد .

السؤال الثالث : الرئيس الراحل ياسر عرفات (أبو عمار) رحمه الله ، في الجزائر .

السؤال الرابع : سعد بن أبي وقاص .

الفائزون :

1. أحمد محمود محمد عدوي / بيت لحم : 30 ديناراً
2. محمد علي عطا المحاريق / الخليل : 20 ديناراً
3. ممدوح محمود محمد حمامرة / بيت لحم : 10 دنانير .

مسابقة الإسراء الثقافية

شروط المسابقة

ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء ، العدد الخامس والسبعون

مجلة الإسراء

مديرية الإعلام والبحوث الإسلامية

دار الفتوى والبحوث الإسلامية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين

ورقم الهاتف إن وجد وكتابة الإجابات بخط واضح

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى : 30 ديناراً أردنياً.

الجائزة الثانية : 20 ديناراً أردنياً.

الجائزة الثالثة : 10 دنانير أردنية.

كوبون مسابقة الإسراء

العدد الخامس والسبعون

الاسم : .....

العنوان : .....

رقم التلفون : .....

باب المغفرة

يصدر هذا العدد من مجلتنا وحجاج بيت الله الحرام يتوافدون إلى الديار المقدسه لأداء ركن من أركان الاسلام وهو الحج . قال تعالى : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران :97) .

لقد فرض الله تعالى الحج على الأمة الإسلامية ، وجعل فريضة الحج أصلاً من أصول الدين ، فالحج من العبادات التي فرضها الله تعالى على العباد ، مشروطة بالاستطاعة ، فمن لم يتمكن من الحج لعدم استطاعته ؛ فلا يتوجه له وعيد الله ، ومن يتنصل من الالتزام دون عذر يعذره ، فهو عاص.

إن فريضة الحج مع ما فيه من أمور ، قد تعد صعبة وعسيرة على بعض الناس ، لما فيه من صرف للأموال ، بحيث لا يستطيع الحاج أن يصل إلى الديار المقدسة ؛ إلا بعد إنفاق مبلغ من المال ، وقد يكون بعض الحجاج يعملون طيلة سنين عديدة ليوفروا لهم ما يحجون به ، وما ينفقونه قبل الحج وأثناءه ، مع كل ذلك ومع ما فيه من مشقة بدنية حيث الطواف والسعي والرمي والتنقل من منسك إلى منسك ، ومع ما فيه من تحدٍّ صريح للنفس وطباعها التي اعتادت الراحة والأنس بمجالسة الأهل والأقارب ، فالحج يفرض عليه الابتعاد عن كل ذلك وأكثر منه ، إلا أن الحج نعمة من نعم الله تعالى على الأمة الإسلامية جمعاء ، لا يربح الله عليهم بل ليربحوا هم عليه ، وليطهر الناس أنفسهم ويزكوا أموالهم ويخرجوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم وما ذلك على الله بعزيز ؛ قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**) رواه البخاري. وينبغي على كل من أراد الحج ، وأعد له عدته أن يهيئ نفسه للحج ، فلا بد من الاهتمام بجانب الأحكام الشرعية ودراسة أو تعلم ما يحتمل أن يبتلي به الإنسان ، وذلك قبل الذهاب للحج ، ليتسنى للحاج أن يؤدي الفريضة المفروضة عليه على أكمل وجه، فلا يعتريها النقصان ولا تشوبها الشبهات التي قد تخل بالعمل أو تبطل النسك ، فعلى كل مكلف بالغ عاقل أن يتوخى الحذر في أمر دينه وأن يعد لكل شيء عدته وأن يسأل عن أمور دينه ، حتى تكون عبادته التي أقدم عليها سليمة وصحيحة . نسأل الله تعالى أن يجعلنا من حجاج بيته الحرام في عامنا هذا وفي كل عام ، وأن يوفقنا لكل خير وأن يسدد خطانا على طريق محمد وأهل بيته ، والحمد لله رب العالمين وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه المصير.

سكرتير التحرير